الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون – تيارت –

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

– قسم التاريخ –

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في تخصص تاريخ الحضارات القديمة

الموسومة بـــ:

ثقافة تقديم القرابين البشرية في الحضارات القديمة

إعداد الطلبة:

- جامعة عبد القادر

- توميات محمد

إشراف الأستاذ:

- د. حشلاف محمد

أعضاء اللجنة المناقشة:

د.حمادوش بوخراص	جامعة ابن خلدون - تيارت	رئيسا
د.حشلاف محمد	جامعة ابن خلدون - تيارت	مشرفا
د.قفاف البشير	جامعة ابن خلدون - تيارت	مناقشا

السنة الجامعية: 1444-1445 هـ/2023-2024 م

شكر

امتثالا لقول سيدنا محمد صل الله عليه وسلم: " من لا يشكر الناس لا يشكر الله"، وحين كان شكر ذوي الفضل من الناس حقا واجبا، كان علينا أن نتقدم في البداية بخالص الشكر وعظيم الامتنان إلى أستاذنا الفاضل د. حشلاف محمد، لأنه تفضل بقبول الإشراف على عملنا هذا، وإزدائه النصح والتوجيه حتى تم على النحو الذي هو عليه، إذ كانت معاملته لنا طيبة وراقية طول مدة إنجاز العمل، تجلت فيه رفعت العالم المرشد فنسأل المولى عزوجل أن يتولاه بحفظه ويبارك في علمه ويجزيه عنا خير جزاء.

كما نتقدم بجزيل الشكر إلى كل من ساندنا في إتمام هاته المذكرة من خلال إبدائه الرأي والنصيحة، واستنهاض همتنا وتقوية عزيمتنا.

والشكر موصول إلى كل من علمنا وكان له الفضل في بلوغنا هذا المستوى من معلمين وأساتذة في جميع الأطوار.

كما نتقدم بشكر المقر بالفضل الحافظ للجميل إلى عضوية لجنة المناقشة، لما تكبدوه من معاناة التنقل وتصفح عملنا وإسدائهم التصويبات التي لا شك أنها نافعة وتصحيح ما قد زلت به أناملنا وغفلت عنه أبصرانا دون نية أو قصد.

ونهدي ثمرة جهدنا المتواضع إلى الذين تربينا في ظلهم وفي كنف دفء حبهم ورعايتهم، والدينا الأفاضل حفظهم الله ورعاهم برعايته، وفلذات أكبادنا ثم جميع أقاربنا وأصدقائنا.

والحمد لله نهاية لا تزال تبدأ.. وبدء لا ينتهي..

مـــقـــدمـــة

مقدمة

مرت البشرية خلال تاريخها الطويل بفترات سادتها عادات دينية مختلفة، فكانت مرضاة الإله أمنية يطلبها الشخص بأية وسيلة، وقد كانت الحاجة إلى استرضاء الآلهة ملحة لأسباب عديدة، فتفنن هؤلاء في هذا الاسترضاء، فقدموا لها ما أمكن تقديمه حتى وصلوا إلى مرحلة من الهمجية والبربرية تجلت في تقديم نوع وحشي من القرابين البشرية، وتمثل القرابين جزءا مهما من عبادات الأمم القديمة، بل تكاد تكون العلامة الفارقة للدين عندهم، والرجل المتدين في عرفهم هو الرجل الذي يتذكر آلهته ويضعها دائما نصب عينيه، وذلك بتقديم القرابين لها، إذ كانت عندهم أبرز من العبادات العملية كالصلوات لأن إنسان العصر القديم لم يكن يفهم حينئذ من الحياة إلا مفهومها المادي، وهو يرى بعينيه أن ما يقدم إليه من هدايا يؤثر في نفسه كثيرا، لذلك كان من الطبيعي أن يتصور بعقله أن القرابين هي أوقع في نفوس آلهته من أي شيء كان، فقدمهما على كل شيء، وجعلها عبادة يتقرب بها إلى الآلهة كما يتقرب أهل الأديان السماوية إلى الله بالدعاء والصلوات ، فهي في نظره عبادة تقربه إلى الأرباب وكلمة قربان وجمعها "قرابين" هي من أصل " قرب"، وقد استعملت وخصصت بهذا المعنى لأنها تقرب إلى الآلهة، ومن هذا المنطلق، كان اختيارنا لموضوع مذكرتنا الموسومة بـــ: **"ثقافة تقديم القرابين البشرية في الحضارات القديمة"** بحيث عرف العالم القديم طقوس دينية غالبا ما كانت تهدف إلى إرضاء الآلهة وتجنب غضبها المتجسد على هيئة كوارث طبيعية، ورغم اختلاف طقوس تقديم القرابين من حضارة إلى حضارة إلا أنها تلتقي في قالب واحد وهو بشاعة الفعل خلال حقبة مبكرة في حضارات العالم القديم.

وتكمن أهمية الموضوع في دراسة ظاهرة تعتبر في حد ذاتها غريبة ووحشية ولكنها كانت واقعية وموجودة ودواعيها عقائدية.

وكان اختيارانا لهذا الموضوع نابع من دوافع ذاتية وموضوعية، فأما الذاتية فهي حب التطلع ودراسة جانب مهم من الحضارات التي أقل ما يقال بشأنها أنها مذهلة في عدد وتنوع منجزاتها، وأما الموضوعية فهي الحاجة لدراسة وافية ودقة نظر في الدوافع والأسباب التي جعلت من أنفسهم قربانا لآلهتهم كما أن الموضوع تم طرحه من طرف أستاذنا المشرف وحثه إيانا في الغوص في أعماقه.

ولمعالجة الموضوع الذي هو بصدد الدراسة لابد من طرحه في إطاره البحثي وتقيديه بالإشكالية التي تناسبه، مما يدفعنا إلى التساؤل التالي: ما الأبعاد الحضارية لطقوس القربان البشرية في الحضارات القديمة؟ وهل كانت خاضعة للمعتقد الديني أم لأساطير وعادات اجتماعية؟

وفي إطار تلبية ما تطلبته الإشكالية العامة يمكن تفكيكها في عدة تساؤلات فرعية فيما يلي:

- هل كان للتضحيات البشرية علاقة بقناعتهم الاعتقادية؟
- ما مظاهر تقديم القرابين البشرية في الحضارة الفينيقية خاصة قرطاجة؟
- ما الأبعاد التاريخية للطقوس الدينية للحضارتين المصرية القديمة وبلاد الرافدين؟

وخدمة لهاته الإشكالية والأسئلة المتفرعة عنها، كانت خطة بحثنا على النحو الذي يمكن من خلالها الإحاطة بجوانب الدراسة المرجوة، والتي أتت على شكل ثلاثة فصول:

الفصل التمهيدي: كان تحت عنوان: "**المعتقدات والممارسات الطقسية القربانية في عبادة الآلهة**" وتطرقنا فيه إلى أنواع القرابين منها الحيوانية والنباتية والبشرية وختمناه بتعريف القرابين ومسيرة تداولها. أما الفصل الأول فكان بعنوان: "**إرضاء الآلهة وظهور القرابين البشرية في الحضارة الفينيقية**" وكان لابد أن نبين فيه المعتقد الديني وارتباطه بتقديم القرابين ثم ظهور الأضاحي البشرية في تلك الحضارة وانتقالها عبر المستوطنات الفينيقية واخترنا قرطاجة أنموذجا. وفي الفصل الثاني المعنون بـــ: "**الأضاحي البشرية في مصر وبلاد الرافدين**" حيث تناولنا فيه

ظاهرة الأضاحي الآدمية والحيوانية التي تحدث عنها الباحثين من خلال أبحاثهم والآثار والشواهد.

واعتمدنا في دراسة موضوعنا هذا على المنهج التاريخي التحليلي، ولتحقيق هذا العمل كان أمامنا عدد لابأس به من المادة العلمية التي استقيناها من عدة مصادر ومراجع التي لها علاقة بالموضوع ونظرا لكثرتها قمنا بحصرها وذكر أبرز المؤرخين منهم هيرودوت (Herodote) (489-425 ق.م) الذي زار مصر حوالي 448 ق.م وقام بتدوين كتابه "التاريخ" 444 ق.م وقد قسمه إلى تسعة أجزاء، خص الجزء الثاني منه لمصر حيث تحدث عن أهم الأحداث التي كانت تقام للآلهة حيث كان معجبا بتمسك المصرين بديانتهم بحيث ذكر لنا أهم القرابين الحيوانية التي كان يضحى بيها في مصر القديمة، وما لفت انتباهنا هو عدم تناوله موضوع الأضاحي البشرية لدى المصريين. وكتاب ديودو الصقلي (Diodorus Siculus) (80-30 ق.م) في مصر خلال ق1 ق.م حيث زار مصر في عام 59 ق.م إذ صنف مجلدا في التاريخ العالمي بعنوان "المكتبة التاريخية" الكتاب الأول منه استعرض تاريخ مصر القديمة بذكر أهم العادات الدينية فيها .بحيث وضح لنا بأن اليونانين أخذوا عن مصر الشعائر السرية وعبادة الآلهة، وشارال اندري جوليان (Charles Andre julien)(1891-1991) في كتابه "تاريخ إفريقيا الشمالية" الذي وضح لنا معلومة تاريخية مفادها أن القرطاجيين كانوا يهبون أولادهم البكر قربانا للآلهتهم، وكتاب "تاريخ شمال إفريقيا" لصاحبه إستيفان قزال (Stephane-Gsell) (1864-1932) الذي أفادنا في ذكر أهم الآلهة المعبودة عند القرطاجين. وكتاب "الحضارات" لصاحبه لبيب عبد الستار الذي يبين لنا ظهور الأضاحي عند الفينيقيين، وكتاب "حضارة مصر الفرعونية" لمؤلفه أحمد فخري الذي هو بدوره بين ووضح لنا الصورة التي كانت تقام فيها الطقوس وذكر أيضا حرص الكهنة بالقيام بهاته الطقوس دون أن نستغني

عما كتب عن هذه الدراسة من المراجع إثراء وتنويعا لمادة البحث التي تمثل عصارة هذا الموضوع.

وكأي دراسة واجهتنا صعوبات نراها طبيعية في طريق الباحث المبتدئ، خاصة في مرحلة جمع المادة واختلاف المعلومات في أغلب المراجع وكذلك عامل الوقت الذي لا يكفي لإنجاز بحث بالمستوى الذي نرجوه، ضف إلى أن هاته الدراسة تحتاج معاينة عن قرب خاصة الآثار وكذلك عدم التوسع والتوضيح في عديد من المراجع، بالإضافة إلى أن مثل هذه المواضيع يحيط بها كثير من الجدل والتضاربات لكونها تتعلق بالعقائد والتضحيات البشرية في أهم حضارات العالم القديم.

الفصل التمهيدي:

الأضاحي

في الحضارات القديمة

I. المعتقد والممارسات الطقسية القربانية في عبادة الآلهة

II. أنواع القرابين

III. ماهية القرابين ومسيرة تداول الظاهرة بين شعوب العالم القديم

يعتبر الدين في المجتمعات البدائية الرابط الأساسي الذي يوحد الناس، ويعزز شعورهم بالانتماء. هذا الانتماء يتجلى في شعور عاطفي بارتباط الإنسان بقوى وقدرات تتجاوز نطاق الأشياء المادية، وهذه القوى تتحكم إلى حد بعيد في مصائر البشر، بحيث يستطيعون التحكم فيها إلى حد ما. وتعتبر هذه القوى غير المتجسدة هي قوى روحية ويمكن تعريف الدين بأبسط صورة على أنه اعتقاد فيما وراء الطبيعة.

I. المعتقد والممارسات الطقسية القربانية في عبادة:

1. المعتقد الديني:

هو نظام ومفاهيم روحية أو دينية التي يعتنقها الأفراد أو الجماعات البشرية بحيث تشمل المعتقدات الدينية تصورات حول الطبيعة الإلهية، والكون والوجود، والحياة بعد الموت والعبادات. بحيث تتنوع هذه المعتقدات بين الديانات التوحيدية التي تؤمن بالإله واحد مثل الاسلام والمسيحية واليهودية، والديانة المتعددة مثل الهندوسية، كما أنها تشمل الأديان وفلسفات الغير إلهية مثل البوذية. ويعتبر المعتقد الديني شأن جماعي تعمل على صياغته وصقله شأنها شأن الأجيال المتلاحقة فعلى سبيل المثال نجد شعوب سومر وأكاد وكنعان ومصر واليونان حيث أنها تركت لنا إرثا عن معتقداتها وأساطيرها، ولا يمكن للفرد أن يعتقد بمعتقد خاص به وذلك حتى لا يكون تصادم اعتقادي مع ما يفعلها الآخرون، ثم أنه دوام أي معتقد واستمراره يتطلب إيمان عدد كبير به وإلا كان مآله إلى الزوال. يتألف المعتقد عادة من عدد من الأفكار الواضحة والمباشرة تعمل على رسم صورة ذهنية لعالم المقدسات، وتوضح الصلة بينه وبين عالم الإنسان، وغالبا ما تصاغ هذه الأفكار في شكل صلوات وتراتيل.[1]

1- فراس السواح، الأسطورة والمعنى، دار علاء الدين، ط2، دمشق، 2001، ص.47-48.

يعبر الإنسان في غالب الأحيان عن مشاعره الدينية التي تتكرر على شكل سلسلة من الأفعال التي تكون عبارة عن شكل من أشكال عبادة أو عقيدة، إن هذه الأفعال تكون في نظام معين إما أن يكون طقسا أو احتفالا يكون تابعا لنهج فكري،[2] يعتقد سكان بلاد الرافدين القديمة بأن التي خصت لنفسها الخلود قدرت مصائر البشر إذ جعلت الموت نصيبا لهم وحالة حتمية فهذا الاعتقاد يشتمل على شقين اثنين أولهما الخلود للآلهة وثانيه حتمية الموت عند البشر ومن الأدلة الموجودة بهذا الشأن هي التعابير التي كان البابليون يستعملونها كلما مات أحدهم ومن هذه التعابير نجد مثلا "ذهب إلى المصير" أو "ذهب إلى إلهه"، وكان اعتقادهم بأن الإنسان كائن مركب من عنصرين حسي مادي ويقصد به الجسد والثاني وهو غير المشاهد ويقصد به الروح، والجلي في هذا بأن هذا الاعتقاد لم يكن ببعيد عن مفاهيم الشعوب القديمة الأخرى التي عاشت في الشرق الأدنى كمصر مثلا ونذكر بهذا الصدد الاختلاف الموجود بين سكان بلاد الرافدين والمصريين في العلاقة بين الجسد والروح إذ أن المصريون اعتقدوا بوجود الروح وخلودها في عالم ما بعد الموت متوقف على سلامة جسد المتوفى وبقائه محتفظا بشكله الطبيعي، بينما سكان بلاد الرافدين القدماء لم يصلوا إلى هذا الحد في تصورهم للعلاقة بين الروح والجسد إذ كان اعتقادهم أن الروح مستقلة نوعا ما عن الجسد.[3]

وقد أظهر المصريون تشبثا بالعقيدة وتحفظا عليها في كل العصور، وهذا ما يميزهم عن جميع الأمم القديمة الكبرى مثلما يؤكده المؤرخ اليوناني هيرودوت: إن المصريين أشد البشر تدينا، ولا نعرف شعبا بلغ في التدين درجتهم فيه، فإن صورهم بجملتها تمثل أناسا يصلون أمام إله، وكتبهم في الجملة أسفار عباد ونسك.[4]

2- ياروسلاف تشرني، الديانة المصرية القديمة، تر: د أحمد قدري، دار الشروق، ط1، القاهرة، 1996، ص.133.

3- نائل حنون، عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد واد الرافدين قديما، دار الشؤون الثقافية العامة، ط2، بغداد، 1982، ص ص.81-109.

4- محمد أبو زهرة، مقارنة الأديان القديمة، دار الفكر العربي، بيروت، 1995، ص.5.

2. الطقس:

يعتبر الطقس أحد الجوانب الفعلية والعملية من الدين، إذ يعتبر ردة فعل أصحاب الدين ومن خلاله يعرف الجانب الخاص للمعتقد من حيث الذهنية العقلية والنفسية له. وإذ نعتبر أن المعتقد شأنا أساسيا خاصا بالكهنة ورجال الدين وخاصة الناس. وفي الجهة المقابلة فإن الطقس يعتبر شأنا شعبيا يتيح بطبيعته مساحة أوسع للناس ورغم أن الخاصة هي التي تشرف عليه وتوجهه، لكن عامة الناس تقوم بتحويله إلى عادة راسخة تنتقل من جيل إلى جيل.[5] إذا كان المعتقد حالة ذهنية، فإن الطقس يعتبر ردة فعل لهذا المعتقد، وإذا كان الاعتقاد مجموعة من الأفكار المتعلقة بعالم المقدسات فإن الطقس يعتبر مجموعة من الأفعال المتعلقة بذلك العالم. حيث إنه لا يوجد دين بدون طقوس، فالطقس هو ترجمة لذلك الدين، إن الطقوس التي مورست قديما مستمدة من المعتقدات البشرية الضاربة بجذورها عبر التاريخ واستمر أداؤها من عصر إلى عصر واختلفت من مجتمع إلى مجتمع وقد تعددت الطقوس التعبدية من منطقة إلى أخرى ورغم اختلافها وتعددها إلا أن الهدف كان واحدا وهو طلب رضا المعبود، ومن بين مظاهر الطقوس الممارسة في القدم نجد الصلاة التي كانت يمارسها الإنسان العادي والكاهن والملك على حد سواء إذ كانت تؤدى على شكل وضعيات مختلفة بخشوع أمام الإله المعبود وهذا ما وجدناه في الحضارة المصرية.[6]

5- فراس السواح، المرجع السابق، ص.50.

6- ياروسلاف تشرني، المرجع السابق، ص.135.

كان الكهنة باختلاف درجاتهم يقومون بواجبات في المعابد كل يوم بحيث يقومون بممارسة مراسيم وطقوس مصحوبة بأناشيد وتراتيل خاصة سواء في الحفلات الدينية أو الأعياد وسائر أيام السنة، ومن هاته التراتيل التي كانت موجودة نجد: تراتيل إيقاد الأنوار، إشعال نار المباخر، حمل الخمر، تراتيل السير إلى بيت الأقداس* وكان على الكاهن عند فتح باب المعبد أن يقوم بحرق البخور أمام أنف التمثال وبعدها يقدم أمامه الطعام والشراب والخمر والأزهار لتتغذى به روح الإله.[7]

وكانت تنتشر في المعابد أجزاء مختلفة من التماثيل إذ يقومون بالصلاة وتقديم القرابين للآلهة في المعبد، إذ كان لهم طقس متمثل في تقديمهم لمحصولاتهم الزراعية لإله النيل وكانت هاته العادة تقام كل ما كان المحصول موجودا.[8]

* بيت الأقداس: هو عبارة عن حجرة كثيرا ما وقعت في نهاية المعبد وعلى المحور مباشرة، بحيث كلما اتجهنا إلى الداخل ينخفض سقف المعبد تدريجيا والهدف منه هو بعث الرهبة والغموض في النفس داخل المعبد تدريجيا انظر: عثمان أحمد مصطفى أحمد، قدس الأقداس وحجرة المقدسة في معابد الأسرة الثامن عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ص.89.

7- عبد المنعم أبو بكر، محاضرات في التاريخ المصري القديم، ط.خ.ك، القاهرة، 1939-1940، ص.39-40.

8- أدولف إرمان. ديانة مصر القديمة (نشأتها وتطورها ونهايتها في 4 الاف سنة)، تر: عبد المنعم أبو بكر، محمد أنور شكري، مكتبة مدلوبي، ط1، القاهرة، 1995، ص.238.

II. أنواع القرابين:

تعتبر القرابين بمثابة ممارسة دينية وثقافية قديمة وهي عبارة عن تقديم هدايا وتضحيات للآلهة أو القوى الخارقة أو الأرواح (انظر الشكل 1)، إذ يهدف هذا الفعل إلى طلب الرضا وعدم السخط أو طلب الحماية أو تكفير الذنوب، وتختلف طبيعة القرابين وشكلها باختلاف الثقافات والأديان. كان تقديم القرابين في الحضارات القديمة ومصر القديمة خصوصا له شأن خاص إذ حظي بعناية كبيرة فنجد أنه كان تقليدا راسخا لديهم في المعابد وفي المقابر على حد سواء إذ تعددت الأسباب والدوافع التي جعلت منهم -أي المصرين القدماء- يقومون بتقديم القرابين للآلهة والموتى.[9]

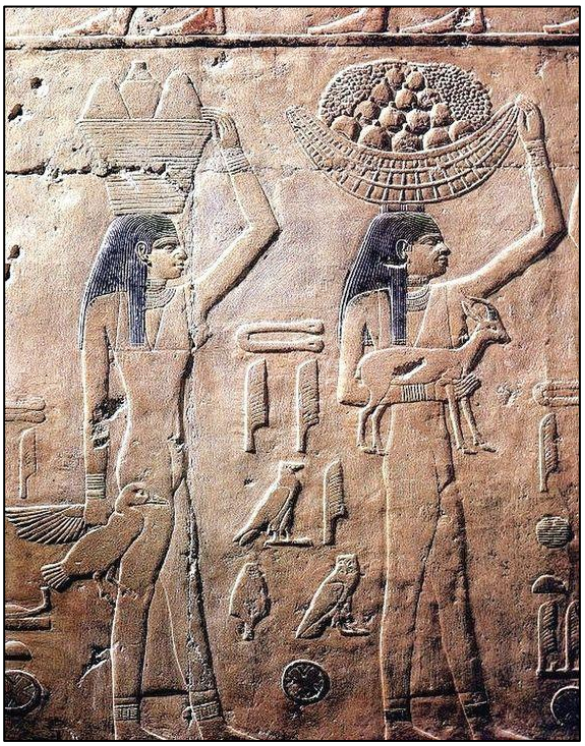

الشكل 1: صورة لتقديم بعض القرابين للآلهة
https://www.pinterest.com/pin/137430226127078762/ (2024/06/21)

9- خزعل الماجدي، الدين المصري، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 1999، ص.230.

نجد في الأساطير المصرية القديمة أن تقديم القرابين للأب والمتوفى من طرف الابن يعتبر واجبا وحتمية لا مفر منها، إذ تبرز أسطورة "أوزوريس"* أن الإله "حورس"** أقدم على تقديم عينه التي انتزعت من طرف عمه الإله "ست"*** خلال شجار بينهما إلى والده "أوزريس". حيث أصبح "أوزوريس" روحا بعد موته، ومنذ ذلك الوقت أصبح المصريون يعتقدون أن ما يتم تقديمه من قربان للمتوفى يحتوي على قوة خفية تجعل من المتوفى وتمكنه من التحول إلى روح تماما كما حولت عين "حورس" "أوزوريس" إلى روح.[10]

هذا الاعتقاد جعل من المصرين القدماء يطلقون على كل قربان تم تقديمه للمتوفى اسم عين "حورس" وهو رمز للحماية والبعث والخلود، كما يعتبر هذا التقليد جزءا مهما من طقوس الدفن في مصر القديمة.[11]

ومن شعائر تأسيس المعابد قيامهم بطقس القربان حيث كانوا يعتقدون أن الهدف منه حماية المبنى من الأرواح الشريرة.[12]

*أوزريس: هو إله مصري قديم يعتبر أحد أهم في الديانة المصرية القديمة. يُعتقد أنه إله الحياة والموت والأموات، وكان يُعبد كملك للعوالم السفلى وحاكم للمملكة السماوية. ويصوِّر أوزيريس عادةً على هيئة رجل يرتدي تاج العرش المصري ولديه قواعد نباتية تُشير إلى سيادته على الطبيعة والزراعة. انظر: سليمة إكرام، "المومياءات": أسرار المصرين القدماء، مطبعة جامعة كاليفورنيا، 2005.

**حورس: يعرف بإله السماء، والذي كان متجسدًا على شكل صقر، أو جسم رجل برأس صقر، فكان رمز عين حورس يرمز إلى الصحة الجيدة، والحماية، وغالبا ما يرى حورس وهو يرتدي تاج مصر المزدوج الذي يرمز إلى سيطرته على مصر العليا والسفلى وهو ابن الاله أوزوريس و إزيس. انظر: إريك هورونغ، "الأديان المصرية القديمة"، مطبعة جامعة كورنيل، أمريكا، 1999.

***ست: يصور ست بالغاصب الذي قتل وشوه أخاه أوزوريس فقامت زوجة أوزوريس بإعادة تجميع جثته وتحنيطه، وهو إله من آلهة مصر القديمة، وهو ابن الإلهين "جب" إله الأرض و"نوت" آلهة السماء وكان غلبا ما يصور برأس حيوان خيالي يعرف بـــ "حيوان ست". انظر: أريك هورونغ، "الأديان المصرية القديمة"، مطبعة جامعة كورنيل،أمريكا، 1999.

10- محمد بيومي مهران، الحضارة المصرية القديمة، دار المعرفة الجامعية، ط4، الإسكندرية، 2008، ص.497.

11- سيروم فلوندر زيتري، الحياة الاجتماعية في مصر القديمة، تر: محمد جوهر عبد المنعم عبد الحليم، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتابة، مصر، 1985، ص.203.

12- سمير أديب، موسوعة الحضارة المصرية القديمة، العربي للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2000، ص.751.

1. قربان البخور والتزين:

أ. قربان البخور:

يعتبر قربان البخور طقسا رمزيا مع وجبة الطعام المقدمة للإله في المعابد أو المتوفى في المقابر وكان الكاهن قبل تقديم الطعام وباقي القرابين الأخرى لابد له أولا من حرق البخور الخاصة بتقديم القرابين.[13]

وبعد ذلك تبخر تمثال الإله قصد تطهيره حيث كان هذا القربان يقدم بسخاء وفي العديد من المرات وبأنواع مختلفة من البخور.[14]

كما كان كل طقس يقوم به الكاهن الأكبر لابد فيه من تلاوة الأدعية وتلاوة الصلوات وينبغي أيضا تعطير تمثال الإله بالبخور ورشه بالماء إذ أنه كل ماله من رائحة طيبة من أدهان وبخور يسمى عرق الإله، ولم يقتصر قربان البخور على خدمة واحدة، إنما تعدى ذلك جميع الخدمات اليومية في المعبد، تمثلت في رش الماء وحرق البخور أمام مظلات الأرباب وأصحاب المقامات العليا الذين يحضون بالقرب من الإله وإطلاق البخور في مختلف الأماكن وكذلك الخدمة التي تتكرر من وقت إلى آخر إلى أن يتم التبخير من طرف الكاهن قصد تطهير الهواء من كل مكروه.[15]

ومما تقدم، يفهم أن طقس تقديم قربان البخور كان لازما لجميع الخدمات الإلهية، وربما كان ضروريا لاعتقادهم أن البخور مادة مطهرة، إذ أن الطهارة تعتبر شرطا أساسيا في مختلف أعمال المصريين الدينية لذلك نجد البخور حاضر في جميع أعمالهم.

13- خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص.226.

14- سمير أديب، موسوعة الحضارة المصرية القديمة، المرجع السابق، ص.754.

15- ألن شورتر، الحياة اليومية في مصر القديمة، تر: نجيب ميخائيل إ تويمي براهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1997، ص.96.

ب. قرابين التزين:

كان الكهنة قبل البدء في تزيين الإله وتقديم القرابين المناسبة له يقومون أولا بغسل التمثال ومسح الزينة القديمة عنه وهي الشعيرة التي تعرف بإزالة "المادجت" ومن ثم، التطهير بالماء بواسطة الأواني "تمست" الأربعة ومرة بواسطة الأواني "دشرت"* الأربعة، ومرة ثالثة بواسطة إناء ومعه أربع حبات من البخور ثم بعد ذلك يبدأ في التزيين.[16]

يقوم الكهنة بإلباس ثياب جديدة للإله بدلا من التي كان يرتديها، والمعروف في مصر القديمة أنه ليست كل الألبسة وأنواع الأقمشة صالحة لأن يرتديها الإله أو الكهنة، وخصوصا الصوف التي لا يمكن بأي حال من الأحول تقريبها من الأشخاص والأدوات الخاصة بالإله، وكان الكتان الرقيق وحده صالحا للباس، فكانت تنسج من هذا القماش اللفائف اللازمة لتماثيل وتقدم له أربعة تحفظ في صندوق خشبي خاص ويوضع هذا الصندوق في "قدس الأقداس"**، وتكون اللفة الأولى من نسيج ذو لون أبيض" والثانية من الأزرق" والثالثة من "الأخضر" والرابعة من "الأحمر". وما تجدر الإشارة إليه هنا أن لباس الإله لم يكن يبدل كل يوم وإنما مرة أو مرتين في الأسبوع، أما ما يحدث يوميا فقد كان مجرد تقديم اللفائف الأربع التي ذكرناها. كما كان تمثال الإله يزين بأشياء أخرى كانت تقدم إلى الإله وتكون محفوظة في غرفة تسمى بالخزنة ويحفظ فيها كل ما هو ثمين من أدوات الشعائر وأدوات الزينة الخاصة بالإله من قلائد وعقود من كل نوع، وقلائد صغيرة وغيرها من الحلي التي يتاح أيضا لكبير الكهنة التحلي بها.[17]

---

* بمعنى الأرض الحمراء، ويرمز هذا التاج الملكي إلى مملكة مصر السفلى وملكها، ظهرت في عصر ما قبل الأسرات، انظر: Abou bakr, untersuchungen kronen, Hamburg: verlag augustin, 1937, p25.

16- سمير أديب، موسوعة الحضارة المصرية القديمة، المرجع السابق، ص.754.

** هو عبارة عن حجرة تقع في نهاية معبد وعلى المحور مباشرة حيث كلما توجهنا إلى الداخل ينخفض سقف المعبد تدريجيا، الهدف منه هو بعث الرهبة والغموض في النفس داخل المعبد، انظر: عثمان أحمد مصطفى، قدس الأقداس وحجرة المركب المقدسة في معابد الأسرة 18.

17- السيرج سونيرون، كهان مصر القديمة، تر: زينب الكردس، مر: أحمد البدوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1975، ص.93.

هذا وبالإضافة إلى مجموعة من القرابين الرمزية مثل "العين الواقية" "أوجات" والساعة المائية والصلاصل والقلائد التي كانوا يسمونها "منات والصولجنات والأساور" وكانت هذه القرابين المخصصة لتزيين الإله تصاغ من أجمل المواد الذهبية أو الفضية المطعمة باللازورد أو بعجائن من المينا من مختلف الألوان، وقد كانت متقنة الصنع، وبلغت صناعتها درجة رائعة من الفن، و لم تكن هذه الأدوات تظهر إلا أثناء أداء الشعائر في الاحتفال. والهدف من هذا الطقس ليس فقط العناية الخارجية بالتمثال بين تنظيف وتزيين مثلما يفعل الإنسان كل صباح من اغتسال وتزيين وتغيير للملابس، ولكن الهدف منها هو تحرير التمثال من الأرواح الشريرة ومنحه قوة الحياة الإلهية.[18]

2. القرابين الحيوانية:

ارتبطت القرابين الحيوانية في مصر القديمة بفكرتين، إذ كان ينظر إليها بمنظورين كهدية سارة تتحد مع "عين حورس" عندما يتعلق الأمر بالقرابين العادية أي غير المذبوحة، فيحين يعتبرها المنظور الثاني أنها تتحد مع أعداء "حورس" و"أوزيريس" أي تصبح هي الإله "است" وأعوانه عندما يتعلق الأمر بالقرابين الحيوانية المذبوحة. فقد كانت هذه الحيوانات التي تذبح في ساحة خاصة من المعبد كأنها هي الإله حقا، حيث تقتل لإرضائه، وقد كانت هذه القرابين تقدم إما نيئة أو مشوية ومن النادر أن تحرق.[19]

ومن بين الحيوانات المضحى بها في مصر القديمة أمام المعبودات لنيل رضاها الثور، وقد كان يختاره الكهنة بعناية فائقة وذلك وفقا لشروط معينة، حيث يقوم الكاهن بفحص الثور بدقة متناهية فتجده يفحصه بين يديه في جميع الاتجاهات فيقلبه على كل وجه وجانب، واقفا ومستلقيا، ومن الرأس حتى القوائم والذيل، ثم اللسان وذلك بحثا عن علامات موصوفة

18- السيرج سونيرون، كهان مصر القديمة، المرجع السابق، ص.94.

19- جفري بارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، تر: إمام عبد الفتاح إمام، مر: عبد الغفار مكاوي، سلسلة عالم المعرفة، 173، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1993، ص ص.42-43.

للتأكد من سلامته، ومن بين هذه العلامات أنه إذا وجد في الثور المضحى به شعرة سوداء واحدة استبعد لنجاسته[20]، وأيضا حينما يفحص ذنب الحيوان فهو يريد التأكد من نمو الشعر فيه على النحو السليم، فإن وجده خاليا من العلل أجازه، وأعلن أنه سليم وصالح للتضحية[21]، وكانت العلامة المميزة للثور السليم هي: أن يلف شريط من ورق البردي حول القرنين وعقده بالشمع وطبعه بخاتم الكاهن شهادة على سلامته[22]، والجدير بالذكر هنا أنه يحرم التضحية بحيوان لا يحمل هذه العلامة، وكان يعتبر هذا الأمر جريمة يعاقب عليها الفاعل بالموت[23].

وشرط سلامة الأضحية لم يقتصر على الأضاحي المقدمة للآلهة في المعابد فقط بل كان الأمر كذلك بالنسبة للثور المضحى به في المقابر، وقد ورد هذا الطقس في العديد من المناظر، حيث كان الثور يقاد إلى مكان الذبح وهناك كان يطرح بسهولة بواسطة قصابين ماهرين، فتربط الأرجل الخلفية مع الأرجل أمامية كما يربط حبل حول اللسان ويشد هذا الحبل فيسقط الحيوان على الأرض عاجزا عن الدفاع، كما قد يحدث وأن يثور حيوان قوي ضد معذبيه في شكل معركة حامية يهجم فيها عليهم هجوما جنونيا، لكن محاولته تذهب أدراج الرياح لأنهم يتعاونون على طرحه أيضا وربط أرجله الأربعة ببعضها ثم يضربونه ويقطعون وريده، ويبدؤون في جمع دمه بعناية وبعدها يقطعونه تقطيعا فنيا وكما جرت العادة عندهم يستخدمون لهذا الغرض حجارة من الصوان لصلابتها ثم يفتح البطن ويخرج قلب الحيوان الذي يعد قطعة ثمينة، وبعدها ينادي القصابون الكاهن المختص في فحص الأضحية وهو الكاهن "الأوعب"* وكان واجبه أن يعلن أن الأضحيـــة زكية طاهرة فيشم دم الحيوان

20- خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص.231.

21- هيرودوت، التواريخ، الكتاب II، تر: عبد الإله الملاح مراجعة أحمد السقاف وأحمد بن صاري، المجمع الثقافي أبوظبي، الإمارات، 2001، الفقرة 24.

22- ي. ف. راك، أساطير مصر القديمة، الشرق القديم دين -أساطير- ثقافة، ترجمة محمد علامي، دار الفكر ناشرون وموزعون، ط1، عمان 2010، ص.286.

23- هيرودوت، التواريخ، الكتاب II، الفقرة 25.

*الكاهن الأوعب: هو شخصية دينية يعتبر وسيطة بين الاله والبشر ويلعب دورا أساسيا في تقديم الطقوس لضمان رضا. انظر: الدين والمجتمع في العالم القديم، تحرير ديفي مارتن، 2010، ص.14.

في حرص بالغ، وأيضا يتفحص اللحم بعنـــاية شديدة ثم يقرر: أنها زكية"، وبعدها تقدم الأفخاذ على مائدة القربان للمتوفى وفي نهاية الاحتفال كانت تستخدم لإشباع جوع المشيعين.[24]

وبالنسبة للأسلوب الذي انتهجه المصريون في التضحية من أجل في المعابد، فقد كانوا يقودونها إلى المذبح، وتشعل النار ويصب النبيذ على المذبح أمام القربان، فترتفع الابتهالات تضرعا للآله، ثم يذبح الحيوان ويقطع رأسه ويسلخ عنه جلده، ثم تنصب عليه الأدعية.[25]

وإن كان هناك سوق فيه تجار "هيلينيون"* فإنهم يحضرون الرأس إلى السوق ويبيعونه، وإذا لم يكن هناك "هيلينيون" في السوق فإن الرأس ترمى في النيل مع الدعاء بأن ينزل الشر الذي يهدد مصر أو صـــاحب القربان على رأس الثور المذبوح، وكانت عادة عدم استخدام رأس أي حيوان في الطعام عادة راسخة عند جميع المصريين. أما عن طرق استخراج الأحشاء وحرق الجثث فتختلف باختلاف الأضحية وأيضا باختلاف ، وقد كان لكل إله طريقة في التعامل مع قرابينه، فعلى سبيل المثال طريقة التعامل مع القرابين المقدمة للإلهة "إزيس" التي يعتبرونها آلهة عظيمة وعلى شرفها يحتفلـــون بعيد كبير، يقومـــون بتقشير شحم الثـــور ثم الصلاة ومن بعدها يذبحون الثور ثم يستخرجون الكرش والأمعاء، تاركيـــن الأحشاء الأخرى والدهن وبعد ذلك يقطعون أعضائه من القوائم وما بين الأضلاع والظهر والكتفين والرقبة ثم يحشـــون الثور بأنواع مختلفة من القربـــان من أطعمة وبخور وسكب بعض السوائل فوق لحم الأضحية ويشوونها أو يحرقونـــها، وقد جرت العادة أن يصوموا قبل التضحية[26].

24- هيرودوت، التواريخ، الكتاب II، الفقرة 26.

25- ي. ف. راك، أساطير مصر القديمة، الشرق القديم دين – أساطير – ثقافة، المرجع السابق، ص ص.286-287.

*هيلينيون: بمعنى سكان هيلاس اكتسبت معناها الواسع الدال على اعضاء المجتمع الهيليين وهي مجموعة من الشعوب المعروفة باسم المفكتونيز وكانت الشاطئ الغربي لآسيا مركزا رئيسيا له انظر: أرلوند تويمي، تاريخ الحضارة الهيلينية، ترى رمزي جرجوس، مكتبة الأسرة، 2003، ص.19-20.

26- ي. ف. راك، أساطير مصر القديمة، الشرق القديم دين – أساطير – ثقافة، المرجع السابق، ص.228.

وكان المشاركون أثناء حرق الأضحية يصابون بالحزن ويضربون صدورهم بقبضاتهم ومن ثم يتوقفون ويقومون بوليمة مما تبقى من أجزاء الأضحية. وقد كان من عادات المصريين القدماء أن يضحوا بالثور، أما البقرة فيتجنبونها في تقديم القرابين فهي مقدسة عند "إيزيس" فقد جسدت "إيزيس" في شكل امرأة بقرون بقرة، وكان المصريون يقدسون البقرة. كانت التقاليد المصرية تنبذ حيوان الخنزير وتحتقر كل متعامل معه حتى بلغ هذا الأمر درجته القصوى حين أصبح الناس يتبرؤون منه تماما ويحرمونه حتى من التقرب من آلهتهم في المعابد. لكن الغريب في الأمر هو أن المصريين كانوا يعتبرون الخنزير نجسا لكنهم كانوا يضحون به على شرف "أوزيريس" و"إيزيس" فقط دون سائر المصرية الأخرى والسبب في ذلك احتفظ به هيرودوت لنفسه و لم يفصح عنه، وكانوا يقدمونه كقربان لهما في عيدهما الذي يحتفلون به كل سنة في نفس الموعد حين يكتمل القمر، فيضحون بهذا الحيوان ويقدموه قربانا ثم يشرعون في أكل ما تبقى منه، لأنهم كانوا يقدمون فقط أجزاء منه للآلهة والتي تمثلت في الذنب والطحال وغشاء الكرش ويلفونها بالشحم المنتزع ثم يقومون بحرقها حتى تتلاشى، أما اللحم فيأكله المحتفلون يوم الذبح. وقد كان الفقراء من الناس الذين لا يقدرون على مثل هذه الأضحية المكلفة يصنعون كعكا بصورة خنزير ويقدمونه قربانا في هذا العيد.[27]

27- هيرودوت، التواريخ، الكتاب II، الفقرة 37.

كان البابليون يعتقدون بوجود علاقةٍ بين الإله الذي يقرب إليه الحيوان المضحى به والحيوان نفسه، فالإنسان البابلي كان يعتقد أنه عندما يضحي بالحيوان فإنه يكون جزءًا من الإله، كما يكون جزءًا من أجسام الناس الذين يأكلونه، وتكون روح الإله أو نفسه روح الذبيحة أو نفسها، وهذا ما يفكرنا بالاتحاد سواء الروحي أو الجسدي بحيث روح الإله تتمثل بروح الذبيحة وبناء على ذلك يمكن للبشر أن يتطلعوا إلى روح الإله ومن ثمة معرفة إرادته من خلال روح الذبيحة. أما أهل "معبد منديس" أو من يعيشون في ضواحيهم فلا يضحون بالماعز وإنما يجعلون قرابينهم من الغنم سواء كان الماعز ذكرا أم أنثى، والسبب في ذلك أن إله الرعاة والمراعي من بين آلهتهم كان يصور بوجه وقوائم تيس.[28]

أما عن الخنزير فقد كان المصريون يعتبرونه حيوانا، نجسا، حتى أنه كان من عوائدهم، إذا مسه أحد ولو لمسا خفيفا ومن غير قصد، كان ينبغي عليه أن يغطس في النهر بكل ما يلبس من ثياب، ولعل هذا ما يفسر تحريم دخول صاحب الخنزير المعابد المصرية، حتى ولو كان مصريا قحا فهو محروم دون غيره من هذا الشرف، بالإضافة إلى عقوبة أخرى وهي عدم مصاهرة الأسر المصرية له. ونفهم من ذلك أن في التقاليد المصرية نبذ للخنزير واحتقار كل متعامل معه حتى بلغ هذا الأمر درجته القصوى حين أصبح الناس يتبرؤون منه تماما ويحرمونه حتى من التقرب لآلهته في المعابد.[29]

28- مسعد بري تطور الفكر الطوطمي، دراسة الجغرافية الاجتماعية، كلية الآداب والعلوم الانسانية، حلب، 2010، ص.21.
29- هيرودوت، تاريخ هيرودوت، الكتاب II، الفقرة 34-35.

3. القرابين السائلة:

أ. الماء: يعتبر الماء أول السوائل اللازمة لكل خدمة يومية في المعبد وكان تقديمه يتم في أواني خاصة ب "تمست" و"دشرت".[30]

وكان من الشعائر اليومية في المعابد الحرص على نظافتها أكمل وجه ولذلك كان ينبغي يوميا تنظيف الأباريق المخصصة له وتجديد الماء بداخل الحوض الموجود في قدس الأقداس والذي كان من الضروري أن يكون نظيفا دائما وممتلئا في قاعة المذبح فهي عبارة عن ماء مقدس يسكب قبل البدء في الطقوس وأيضا في نهايتها حيث يسكب ما تبقى من ماء ويمسح الكاهن أثار أقدامه ويخرج من الغرفة في هدوء ويغلقها.[31]

ب. اللبن: كان اللبن إحدى أنواع القرابين السائلة المقدمة للآلهة كقربان ولأن ما شاع من صيغ تسمية القربان بعين حورس فكان كل طعام وكل شراب وغيرها يجب تسميته بهذا الاسم، حتى وصل الأمر إلى تسمية "اللبن (عين حورس البيضاء).[32]

ج. الجعة: لقد ورد ذكر الجعة كثيرا في النصوص المصرية القديمة كتقدمة مقدسة وقربان سائل وتقدمه جنائزية وكمشروب، وترجع أقدم إشارة إليها إلى عهد (الأسرة الثالثة) حيث ذكر معمل جعة كانت تديره النساء. وتلي هذه الإشارة في الترتيب الزمني إشارة أخرى من عهد الأسرة الخامسة حيث ذكرت الجعة كتقدمة جنائزية، وقد نقشت صور وضع هذا النوع من الشراب على جدران المقابر مثل مقبرة سقارة في عهد الأسرة الخامسة، وقد اقترن صنع الخبز بصناعة الجعة فكانت الأولى خطوة للثانية.[33]

30- سمير أديب، موسوعة الحضارة المصرية القديمة، المرجع السابق، ص ص.95-96.

31- السيرج سونيرون، كهان مصر القديمة، المرجع السابق، ص ص.95-96.

32- خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص.231.

33- سمير أديب، موسوعة الحضارة المصرية القديمة، المرجع السابق، ص ص.735-736.

د. النبيذ: يعبر بكلمة (نبيذ) عادة عن العصير المخمر للعنب الطازج، وكان النبيذ بهذا المعنى أهم الخمور عند قدماء المصريين، ولو أنهم كانت لديهم أنبذة أخرى أيضا، مثل نبيذ النخيل والبلح ونوع إضافي كان يصنع من ثمر المخيط وقد ورد في النصوص القديمة ذكر استعمال النبيذ قربانا للآلهة وأيضا تقدمة خاصة بالمساء أو بالأعياد، وتقدمة جنائزية، وقربانا سائلا لطقوس العبادة وللطقوس الجنائزية وشرابا.[34] وكانت مزارعه منتشرة في مناطق عدة خاصة في الدالتا وكان للقصر الملكي مزارعه الخاصة.[35]

هـ. الزيت:

كان الزيت أيضا من التقدمات التي تصحب الأنواع الأخرى من القرابين وقد كان هذا القربان يستخدم بطريقتين: زيت عطري يدهن به تمثال الإله.[36] وزيت عادي يسكب فوق الأضاحي قبل أن تحرق كقربان للآلهة.[37]

و. العسل (الشهد):

لقد ورد ذكر الشهد كثيرا في النصوص القديسة ويرجع أقدم ما يمكن تتبعه من ذلك إلى الأسرة السادسة وذكر الشهد في عهد الأسرة الثامنة عشر ضمن قوائم القرابين الجنائزية المتنوعة، وقد عثر على جرار الأشهاد مصورة وأسماؤها مذكورة في مقبرة "رخمرع" من عهد الأسرة الثامنة عشر بطيبة، كما عثر على جرتين صغيرتين من الفخار وجدتا في مقبرة "توت عنخ آمون" ويرجع تاريخها إلى عهد الأسرة الثامن عشر حيث كتب على كل منها بالخط "الهيراطيقي" (شهد من نوع جيد).[38]

34- سمير أديب، موسوعة الحضارة المصرية القديمة، المرجع السابق، ص.737.

35- قابيل علاء الدين محمد، مجلد مجموعة 2 مجلة العلوم العربية والإنسانية، جامعة القصيم، السعودية، 2009، ص.221.

36- ألن شورتر، الحياة اليومية في مصر القديمة، تر: نجيب مخائيل إبراهيم الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997، ص.69.

37- هيرودوت، التواريخ، الكتاب II، الفقرة 27.

38- سمير أديب، موسوعة الحضارة المصرية القديمة، المرجع السابق، ص.742.

4.القرابين النباتية:

اعتقد الإنسان في العصور القديمة أن هي التي تمتلك الأرض والحقول والمزروعات، وحينما يتقربون منها بذلك فإنما يؤدون واجبا دينيا يسددون فيه ما عليهم لمالك الأرض وخيراتها، تختلف طرق تقديم القرابين النباتية من ثقافة إلى أخرى وتعتمد على الاحتفال أو الطقوس الدينية التي يتم اتباعها. وتشمل هذه القرابين النباتات مثل: الثمار، الزهور، الحبوب، البقوليات وتعتبر هذه الممارسات وسيلة للتعبير عن الشكر أو طلب البركة والحماية أو التماس الغفران.[39]

أ. الخبز:

يعتبر الخبز من أنواع القرابين المقدمة للآلهة وللموتى، سواء في المعابد أو في المقابر بكثرة، وهذا ما دلت عليه قوائم القرابين المنقوشة عليها والتي تعد إحدى أهم المصادر، ومن أمثلة ذلك ما أمر به "رعمسيس الثاني"* و"رعمسيس الثالث"** يوميا لمعبدهما فقد وصل مقدار الخبز إلى ثلاثة آلاف ومئتان وعشرون رغيفا وبالإضافة إلى هذا المقرر الذي يحضر يوميا هناك مقادير استثنائية بالأيام الغير عادية والتي تمثل أيام الأعياد والاحتفالات)، ففي اليوم الذي يطلع فيه القمر واليوم السادس من الشهر كان يحضر إلى المعبد ستمئة وستة وخمسون رغيف إضافي، وأيضا في الأيام العشرة الأخيرة من الشهر والتي تمثل أيام الاحتفال بعيد إله أزريس، حيث وصل مقدار الخبز المقدم كقربان لهذا الإله ثلاثة آلاف وستمئة وأربعة وتسعون، رغيف، ومع ذلك فإن الإله أزريس لم يكن إله في المرتبة الثانية.[40]

39- سيلفي كوقيل، قرابين في مصر القديم، ت ر: سهير لطف الله، مطبعة بي اتيشرو، 2010، ص.8.

* رعمسيس الثاني: أشهر ملوك الأسرة التاسعة عشر، تولى الحكم بعد وفاة والده (سيتي الأول) دام حكمه 27 عام، أقام خلالها العديد من المعابد والمنشآت التي خلدت اسمه على مدى العصور. انظر: سمير أديب، المرجع السابق، ص.454.

** رعمسيس الثالث: ابن رعمسيس الثاني، تولى الحكم بعد أبيه وقد احده قدوة له ومثلا أعلى فأخذ يحاكيه في تشييد المعابد وما عليها من مناظر، حتى إنه أطلق اسمه على أولاده تيمنا به، انظر المرجع نفسه، ص.457.

40- سيلفي كوقيل، قرابين في مصر القديم، المرجع السابق، ص ص.52-53.

ب. الخضر والفواكه والحبوب:

من أشهر ما ذكر منها التين والعنب والزبيب وقد ورد ذكر هذه الفواكه ضمن القرابين التي قدمت للإلهة "إزيس" في عيدها وذلك عن طريق جعلها حشوا داخل الثور المضحى به والذي يحرق بعد ذلك على شرف هذه العظيمة.[41]

وقد خصص الملوك الكثير من الحقول أوقافا على ما أقاموا من أهرامات من أجل استمرار تقديم القرابين لأرواحهم إلى الأبد.[42]

فمع تطور طقس القربان أصبح يحتوي على أصناف عديد من خضر وفواكه وغيرها بعدما اقتصر الأمر في البداية على رغيف خبز يوضح على حصير، وهذا ما وجد على تلك النقوش لمناظر الطعام المتنوع الذي يشمل أصنافا مختلفة المصورة على جدران المقابر منذ الدولة القديمة.[43]

وهناك بعض النباتات التي قدسها المصريون والتي استمدت قداساتها من الأساطير التي روج لها الكهنة ومنها نجد نبات البردي.[44] وكذا شجرة "الجميز" وهي شجرة سماوية مقدسة تعتبر تجسيد لربة السماء "نوت" وشجرة اللوتس التي كانت رمزا لمصر العليا.[45]

5. القرابين البشرية: ورد عن المؤرخين أن طقس الأضحية البشرية كان معمولا به في العراق القديم في العصور الأولى، وأن هذا الطقس انفرض عن الوجود خلال الألف الثالث قبل الميلاد، وحل محله ذبح الخراف.[46] يفهم مما تقدم أن ذبح الخراف لم يكن طقسا قديما في العراق القديم وإنما جاء بدلا عن الإنسان ابتداء من الألف الثالث ق. م. واعتقد العراقيون القدماء أن آلهتهم كانت تسر بالأضاحي البشرية وأن معبوداتهم آنذاك كانت لا ترضى بأقل من ذلك التقديم،

41- هيرودوت، التواريخ، الكتاب II، الفقرة 28.

42- هورونغ، الأديان المصرية القديمة، المرجع السابق، ص.498.

43- أحمد عبد القادر الدسوقي، ملوك الفراعنة، هبة النيل العربية للنشر والتوزيع، مصر، 2008، ص.96.

44- جورج سارتون، تاريخ العلم، تر: محمد خلف الله، ج2، الجمعية المصرية للثقافة، القاهرة، 2010، ص.85.

45- محمد عبد الحميد بسيوني، بانوراما فرعونية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1999، ص.67.

46- نعيم فرح، موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي، دار الفكر، ص.48.

وقد وجد العلماء والباحثين وثائق وعقود أثبتت ذلك الأمر، فأحدها يقول بيليت صيري: "إنه إذا نقض أحد البائعين البيع، فإن ابنته الكبرى تحرق بخشب الأرز على شرف الربة"، وأيضا وجدت عقود أخرى تشير إلى تضحية الابن البكر إرضاء للإله (أدد).[47]

ويقول البعض أن العراقيين كانوا يعتقدون أن كانت تفضل لحم الآدميين، هذا الاعتقاد كان في بادئ الأمر، ولما ارتقت أخلاق الناس لم يجدوا بذا من الاقتناع بلحم الحيوان، وقد عثر في الخرائب السومرية على لوحة نقش عليها بعض الصلوات بخصوص هذا الأمر، وهي عبارة عن نذر دينية، وكان مضمونها ما يلي: "إن الضأن فداء للحم الأدميين به افتدى الإنسان حياته".[48]

أما فكرة الأضاحي البشرية التي تحدث عنها السير (ليوناردو ولي)، بعد أن اكتشفت في "أور"* في منطقة المقابر الواقعة جنوب زقورة الإله (ننا) مجموعة من المقابر الملكية، حيث وجدت فيها هياكل بشرية يتراوح عددها من 3 إلى 73 شخصا، وكان قسم من تلك الهياكل البشرية لنسوة يرتدين الملابس الحمراء ويتزين بالحلي والأحجار الكريمة، وبجانب بعضهن قيثارات ذهبية، أما الهياكل الأخرى كانت لرجال مسلحين ورجال ممددين إلى جوانب عربات كانت تجرها الثيران، وقد اعتقد (وولي) بأن هذه العربات استخدمت لنقل رفاة الملك ونفائسه، وكان مشهد الدفن يدل على مراسيم وطقوس احتفالية وقد فسر (وولي) هذه الظاهرة بأن الملك كانت تدفن معه حاشيته لتضمن له البقاء بعد الموت، ولكن نظرا لقلة ظهور هذه المقابر في سومر ووادي الرافدين جعلها محل ريبة، ويقول كريمر أن هذا الطقس كان ملوكيا معمولا به في تلك العصور، ولكنه انقرض بعد الألف الثالث ق. م.[49]

47- سامي سعيد الأحمد، المعتقدات الدينية في العراق القديم، المركز الأكاديمي للأبحاث، بيروت، 2013، ص.62.

48- ول. ديورانت، قصة الحضارة، تر: زكي نجيب محمود، ج1، بيروت، 1973، ص.224.

* مدينة في بلاد الرافدين قرب المصب القديم لنهر الفرات، تحتوي على قرابة ألفي مدفن وأثاث جزائري. انظر: هينري س عبودي، معجم الحضارات السامية، جروس برس، ط2، طرابلس لبنان، 1991، ص.147.

49- خزعل الماجدي، متون سومر، الأهلية للنشر والتوزيع، ط1، لبنان، 1998، ص.320.

وكان طقس القربان البشري معمولا به أيضا عند نقض الاتفاقيات السياسية، فكان من ينقض الاتفاق يقدم صدقة تكفيرا للإله، توضع على ركبتي هذا الإله وكان في بعض الأحيان يحرق أحد أبنائه امام تمثال لأن مثل هذه الشواهد لم تكن مألوفة في العراق القديم، لا نعرف على وجه اليقين إن كان أولئك الأولاد قدموا حقا كقرابين.[50]

كما توجد أيضا شعيرة ذات صلة بقرابين الفدية، وهي شعيرة لم تستخدم إلا نادرا وتتمثل في تعيين ملك بديل، يتولى الحكم عادة 100 يوم وتكون مهمته تحمل نتائج كل العواقب الشريرة التي تهدد الملك الحقيقي، اعتمادا على التنبؤات التي كان معمولا بها في العراق القديم وربما انتهى هذا البدل بالموت لتجنب الدولة كوارث توشك أن تنزل بها.[51]

ولهذا يتبين لنا أن طقس الأضحية البشرية كان معمولا به في العراق القديم في بادئ الأمر، وسرعان ما ارتقت أخلاق الناس تغير هذا الطقس إلى بديل عنه وهو الحيوان، وهذا الأمر طبيعي لأن رقي الأخلاق يرافقه بالضرورة تطور في الفكر الديني وبالتالي تغير الطقس هو نتيجة طبيعية لتغير المعتقد. إيجارات عينية لبعض مزارع الملك، أو قيمة إيجارات عينية للملك حق الحصول عليها.[52]

50- ف فون، زودن، مدخل إلى حضارات الشرق القديم، تر: فاروق إسماعيل، دار الثقافة للنشر والتوزيع، سوريا، 2003، ص.211.

51- فراس السواح، المرجع السابق، ص.263.

52- سيروم فلندر زيتري، الحياة الاجتماعية في مصر القديمة، تر: محمد جوهر عبد المنعم، عبد الحليم، مطابع الهيئة العامة للكتابة، 1985، ص.89.

III. ماهية القرابين ومسيرة تداول الظاهرة بين شعوب العالم القديم:

يعرف القربان بأنه كل ما يقربه العابد من معبوده إلها كان أو روحا في مناسبة دينية أو موسم محدد من صيده أو محاصيله أو طعامه، طالبا عونه في تحقيق منفعة أو اتقاء شر أو وفاء لنذر، وليس القربان خاصا بالذبائح، وإن صار ذلك مدلوله في الغالب.[53]

تعتبر القرابين من أهم الشعائر الدينية منذ القدم حيث أنه كان أول قربان في تاريخ البشرية في عهد سيدنا "آدم عليه السلام" لما قتل قابيل أخاه هابيل بعدما تم قبول قربان هابيل دون قبيل وذلك لقوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ-ادَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ اَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْاَخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[54]

ثم أنه فيما بعد أصبح فعل القربان شائعا لدى الحضارات القديمة، إذ نجد على سبيل الحصر ما كان موجودا عند المصرين القدماء إذ جعلوها تقليدا دينيا بشكل دائم يوميا كان أو سنويا في اعتقادهم أن والأموات يحتاجون إلى ما يحتاج إليه الأحياء من ملبس أو طعام أو شراب بل تعدى ذلك إلى تقديم البشر للإله المعبود من أجل كسب رضاه ودفع سوء وجلب المنفعة.[55]

اهتم الفرد الإغريقي بالقرابين كونها مدعاة لكسب ود ومحاولات لإقامة صلة بين والبشر وبين المجتمع الإنساني عموما ما دامت قد تشابهت معهم، وهو من الأمور الطبيعية المسلم بها، ولقد تأثر بذلك الوضع طبيعة الإغريق وطريقتهم في تقديم القرابين وأداء الصلاة والعبادة، إذ كانت القرابين تقدم استرضاء للآلهة الغاضبة التي لا يحيط بأسرارها أحد، وقد يصل الأمر أحيانا إلى تقديم كائنات بشرية في أوقات الخوف من اقتراف الخطايا.[56]

53- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء 1، جامعة بغداد، ط2، العراق، 1993، ص 195-196.

54- القرآن الكريم، رواية ورش، سورة المائدة، الآية 29، القدس، مصر، 2010، ص.112.

55- نجيب ميخائيل، مصر والشرق الأدنى القديم "مصر من فجر التاريخ إلى قيام الدولة الحديثة"، دار المعرف المصرية، ط4، 1963، ص.284.

56- س.م. بورا، التجربة اليونانية، تر: أحمد سلامة محمد سيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1989، ص.82.

ففي مقبرة الملكة شبعاد عثر على اثنتين من العربات الحربية (انظر الشكل 2)، كان يجرها ثيران، وكان كل من العربات والثيران قد دُفن في وضع التأهب للحركة، ويعتقد أن كلا من الأشخاص المدفونين والحيوانات، كان قد أُنزل إلى حفرة الدفن وهو على قيد الحياة، وأن الحيوانات قد ذبحت بواسطة تابعيها أو سائقيها بينما تناول الخدم والأتباع السم فماتوا. ولقد عبرت تلك المقبرة عن نوع من التضحيات الآدمية والحيوانية. بينما يرى آخرون أن هذه المقابر يفترض أنها تعبر عن طقس الخصوبة أو الزواج المقدس الذي سيضفي الخصوبة على الأرض.[57]

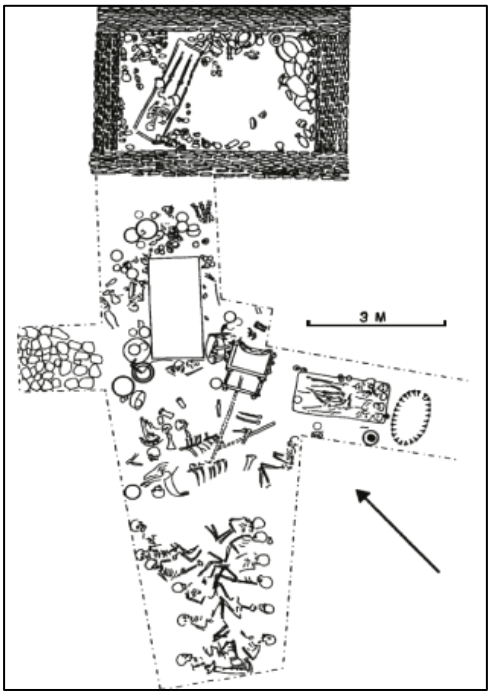

الشكل 2: مخطط مقبرة الملكة شبعاد وقد عثر فيها على اثنتين من العربات الحربية وعدد من السائقين والخدم والأتباع.

Pearson, M. P, the archaeology of death and burial, Texas, 1999, p 17.

رغم اختلاف الحضارات واختلاف الزمان والمكان إلا أنها كانت تشترك في قالب واتجاه واحد في المعتقد المتعلق بتقديم القرابين لمعبوداتها، إذ نلاحظ الحرص الكبير الذي كانت توليه شعوب تلك الحضارات القديمة على قداسة الفعل واهتمامها بكل ما من شأنه أن يرضي معبودهم ورغم تنوع القرابين من حيوانية ونباتية وبشرية إلا أن الهدف واحد وهو إرضاء الإله ومحاولة تجنب غضبه.

57- Mallowan, M. E. L, "The early Dynastic period in Mesopotamia in: C.A.H", vol 1, part 2, 1971, p 284.

الفصل الأول:

إرضاء الآلهة وظهور القرابين البشرية في الحضارة الفينيقية

I. المعتقد الفينيقي

II. ظهور الأضاحي البشرية في الممارسات الدينية الفينيقية

III. انتقال ثقافة تقديم القرابين البشرية عبر المستوطنات الفينيقية (قرطاجة)

تعد طقوس تقديم القرابين والنذور من أهم الشعائر في الديانات، فمن خلالها تتضح علاقة الإنسان بمعبوده، إذ أن الإنسان المتدين هو الذي لا يغفل أبدا عن ما يعبد، إذ يسعى دائما التقرب إليه بأغلى ما عنده لينال رضاه ويتجنب غضبه، وهناك اتفاق بين الباحثين على أن الإنسان عرف ثقافة تقديم القرابين منذ القدم إذ أخلص في تقديمها لآلهته وهناك عدة حضارات عرفت ثقافة تقديم القرابين مثل الحضارة الفينيقية التي تعد من بين الأنظمة الدينية القديمة التي كان منشأها في منطقة الشرق الأوسط إذ نجد أنها تشترك في كثير من العناصر الشائعة مع عدد من الحضارات الأخرى مثل السومارية والبابلية والكنعانية إذ يعتبر تقديم القرابين والأعياد والشعائر الدينية الأخرى أحد الأجزاء الأساسية من الممارسات الدينية الفينيقية.

I. المعتقد الفينيقي:

قبل الحديث عن المعتقد الفينيقي ولا بأس أن نتعرف على ماهية المعتقد:

1. تعريف المعتقد: هي العقائد ومفردها عقيدة ولغة هي الأمور التي تصدق بها النفوس، وتطمئن إليها القلوب وتكون يقينا عند أصحابها، لا يمازجها ريب ولا يخالطها شك فهي بذلك الحكم الذي لا يقبل الشك فيه عند معتقده،[58] والعقود أوثق العهود، تقول العرب اعتقد الشيء صلب واشتد[59]، وعقد الجبل شد بعضه ببعض والنقيض حله، ففي القرآن الكريم يقول الله تعالى: "لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ".[60]

وتعقيد الإيمان يكون بالقلب وعزمه، وفي المعنى الاصطلاحي يقصد بالعقيدة كل ما يقصد به الاعتقاد دون العمل كعقيدة وجود الله وبعث الرسل والبعث والجزاء.[61]

58- عمر سليمان الأشقر، العقيدة في ضوء الكتاب والسنة، دار النفائس للنشر والتوزيع، ط12، عمان، الأردن، 1999، ص.11.

59- ابن منظور، لسان العرب، دار الكتب العلمية، مجلد 3، ط1، لبنان، 1996، مادة عقد، ص.836.

60- القرآن الكريم: رواية ورش، سورة المائدة، الآية 89، القدس، مصر، 2010، ص.122.

61- أحمد اسماعيل يحي، الإسلام والمعتقدات الدينية القديمة، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط1، مصر، 2002، ص.73.

وعندما يتمكن الدين من الأفراد، ويتحول إلى طريقة تفكير وسلوك بما يفرضه من عبادات ومعاملات، وبصبح معتقدا فمن هذا المنطلق يعتبر أنه لا تفريق بين المعتقدات (الأديان) الوضعية، وأديان الوحي من حيث هي جذور تفعل فعلها في سلوك الإنسان فنحن عندما نجسد الحقائق التي نعتقد ونؤمن بها، فإنها تصبح مرتبطة كليا بكينوناتنا العميقة.

والمعتقدات الوضعية تختلف من حيث دلالاتها، مضامينها وأبعادها، والبعض منها ينحو منحى التعالي من حيث افتراضه للقوى الغيبية إلا أنه لم يستطع أن يلتفت كليا من مسألة التجسد، لذلك افترض البعض وجود الهة متعددة كآلهة الحرب والشر، وآلهة الخير والحب ورمزوا لها بما يتناسب مع قوى إدراكهم.[62]

ساد الاعتقاد بأن الإله هو السيد المطلق، فالواجب بالتالي أن تقدم له هدايا القرابين، فيشمل البشر بعطفه ورضاه، واختلفت الأضاحي من نفائس ومواد زراعية أو غذائية، وحتى الحيوانات التي كان يضحى بها على المذابح وإن كانت الحيوانات لا تصلح فعليا لتعبد آلهة، إذ تسهم إسهاما كبيرا في تأمين الحاجات الغذائية لكهنة المعابد، واستمر تقديم القرابين عند الفينيقيين زمنا طويلا، وعرفت عندهم بشكل خاص التضحية بالأطفال، وشعائرها كانت تقام غالبا خارج المعابد في القرنين السادس والخامس قبل الميلاد خاصة، وأخذ الفينيقيون تدريجيا يتركون هذا النوع من التضحية.[63]

اعتمد الفينيقيون في عبادتهم على الاعتقاد بظاهرة الخصوبة والإنتاج، حيث آمنوا ببعض قوى الطبيعة التي أحاطت بهم، كما أنهم عبدو الكثير من الآلهة حيث كان لكل مدينة إله يعبد. حيث سمى الفينيقيون بعض آلهتهم نسبة إلى المدن التي أقاموا فيها، ومن الآلهة التي عبدها الفينيقيون وقدسوها: إله القوى الكامنةّ "الإله إيل" آلهة الخصب و"عشتار"، إله المطر "الإله بعل"، الإله "أشمون"، أما في قرطاج، فقد عبدوا إله الخصوبة والإنتاج "تانيت" والإله "بعل أمون"، حيث كانت تُمثَّل في أشكال مختلفة مثل الأصنام والرموز الطبيعية مثل الشمس والقمر والبحر، زيادة على ذلك كان للديانة الفينيقية دور مهم في الحياة اليومية، إذ كان لها تأثير على القوانين والتقاليد والقيم الاجتماعية.[64]

62- سميح دغيم، أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام، دار الفكر اللبناني، ط1، بيروت لبنان، 1995، ص.9-10.

63- جان مازيل، تاريخ الحضارة الفينيقية الكنعانية، تر: ربا الخش، دار الحوار، ط1، سوريا، 1998، ص.36.

64- سبتيينو موسكاتي، الحضارات السامية القديمة، تر: يعقوب بكر، دار الكاتب العربي، القاهرة، 1986، ص.128.

2. أهم المعبودات الفينيقية:

أ. الإله بعل آمون (Beel Ammon):

كان الإله (بعل) من أهم الآلهة الفينيقية في الشرق (انظر الشكل 3)، خاصة في مدينة صيدا، والاسم يعني: السيد، أو الرب، وهو إله العاصفة والبرق، وإله الزراعة المعتمدة على مياه الأمطار.[65]

وهو يعبر عن الارتباط القوي بين القوى الإلهية، والظواهر الطبيعية، وإله الشمس أيضا، ويدخل اسمه في تركيب أسماء الأعلام[66]، ويبدو أن البونيين كانوا يكنون له الشعور بالعظمة والامتنان، ويطلبون منه الحماية والأمان، وأعطيت العديد من التفسيرات حول معنى الاسم، منها: أنه سيد أشعة الشمس، أو سيد الشمس[67]، وسيد هيكل البخور، أو المذابح المحترقة بالضحايا، أو سيد جبل الأبانوس، إن أغلب الباحثين يؤيدون الرأي الثاني، باعتباره سيد المعبد الذي تقدم فيه القرابين البشرية والحيوانية.[68]

ومن المعتقد أن الإله بعل ارتبط بالإله آمون الأكثر شهرة في شمال إفريقيا، والجدير بالملاحظة أن أغلب المراجع الحديثة العربية منها والأجنبية، تكتب الشق الثاني من الاسم بعدة صيغ، هي: حامون، وهامون، وحمون، وذلك اعتمادا فيما اعتقد على رسم الاسم كما ورد في النقوش البونية، التي يرد فيها الاسم بصيغة هامون، وربما يعود ذلك إلى اشتقاقه من اسم، آمون وذلك لعدة اعتبارات، منها:

أن الإله آمون اندمج مع أحب وأهم آلهة الشعوب الوافدة على المنطقة، وهما: الإغريق، والرومان، فالإغريق طابقوه مع كبير آلهتهم (زيوس)، فأصبح يعرف بزيوس آمون (Zeus Ammon).[69]

65- محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص ص.315-316.

66- رشيد الناضوري، تاريخ المغرب الكبير، ج1، دار النهضة، بيروت، 1981، ص.137.

67- سامي أبو شقراء، موسوعة الأديان، ج 1، بيروت 1989، ص.139.

68- الشاذلي بورونيه محمد الطاهر، قرطاج البونية تاريخ وحضارة، مر187.نشر الجامعي تونس 1999، ص.275.

69- جورج كونتنو، الحضارة الفينيقية، تر: محمد عبد الهادي شعيرة، مركز كتب الشرق الأوسط، مصر، 1948، ص.119.

الشكل 3: تمثال بعل آمون (Beel Ammon)

جورج كونتنو، الحضارة الفينيقية، المرجع السابق، ص.161.

ب. الإلهة ملقارت (Melkart):

من الآلهة الفينيقية الكبرى، والإله الرئيس لمدينة صور (انظر الشكل 1)، اسمه يعني ملك المدينة، أو سيدها[70]، وبه سمي المعبد الرئيس الذي كرسه له الملك حيرام (936-969 ق.م).

ظهر لأول مرة في القرن التاسع قبل الميلاد في نقش آرامي، كما ذكر في معاهدة الملك الأشوري أسرحدون (669-680 ق.م)، مع ملك مدينة صور، وهو إله القوة والنور، بمعنى أنه كان إلها شمسيا، وبعد التوسع الفينيقي في مجال التجارة البحرية اكتسب ملقارت صفة إله البحار[71]، واكتسب الإله شعبية كبيرة بين أوساط المستعمرين الفينيقيين، وظل القرطاجيون لسنوات طويلة يرسلون كل عام السفراء لتقديم الهدايا إلى معبده في مدينة صور،[72] ويزودونه بعشر دخل الدولة سنويا، رمزا للطاعة والاحترام والولاء، والارتباط بالوطن الأم، كما كانوا يخصصون له حصة من غنائم الحروب[73].

70- سبتيينو موسكاتي، الحضارات السامية القديمة، المرجع السابق، ص.129.

71- محسن عبد الصاحب المظفر، جغرافية المعتقدات والديانات، دار صفاء، عمان، 2010، ص.187.

72- ج كونتنو، الحضارة الفينيقية، تر: محمد عبد الهادي شعيرة، 1962، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ص.120.

73- محمد على الدراوي، الحياة الدينية والثقافية بمنطقة المدن الثلاث زمن الاحتلال الروماني، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الفاتح، 2003، ص.69.

الشكل 4: صورة لمنقوشة الإلهة ملقارت (Melkart)

عبد الوهاب كيدار، بوبكر مريقي، قدسية الجبل ومكانته في الأديان الوضعية، مجلـــة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، جامعة بشار، الجزائر، المجلد08، العدد1، 2022، ص.533.

ومن المعتقد أنه كان من ضمن الآلهة التي أقسم بها القائد القرطاجي هانيبال (Hanybal)، أثناء توقيع معاهدة السلام مع سفير فيليب الخامس ملك مقدونيا، وكانت تماثيله تُغطى بالذهب، وقد أشار أحد الباحثين إلى أن القائد الروماني سكيبيو (Scipion) فرض عقوبات مشددة على بعض جنوده الذين اقتحموا معبد الإله ملقارت، وحاولوا اقتلاع صفائح الذهب التي تغطي تمثاله، وكان يحتل مركز الصدارة بين مجمع الآلهة الفينيقية بقرطاجة في القرن الخامس قبل الميلاد.[74]

ويبدو أن عقيدته كانت منتشرة في المدن الثلاث على المستوى الشعبي، وينعكس ذلك من خلال أسماء الأعلام التي يدخل فيها اسم الإله، والتي تدل على مدى شدة ارتباط الناس به، ومن بين أكثر الأسماء الفينيقية انتشارا في الإقليم عبد ملقارت (Abdmelqart) وبود ملقارت (Bodmelqart).[75]

74- نظر محمد حسين، الحرف والصورة في عالم قرطاج، منشورات البحر الأبيض المتوسط، 1999، ص.164.

75- ج. كونتنو، الحضارة الفينيقية، المرجع السابق، ص.121.

ج. الإله أشمون (Asmun):

إله مدينة صيدا وحاميها، شبهه الإغريق بمعبودهم أسكليبيوس (Asclepius)، فهو المشرف على الشفاء والصحة، وهو في الأساطير الفينيقية إله صيدا، رمز الخلود، ورب الخلود، شعاره حية يتصل رأسها بذنبها على شكل دائرة.[76]

وانتقلت عبادته إلى شمال إفريقيا عند تأسيس قرطاجة، وأقيم له معبد في حي بيرسا داخل قلعة مدينة قرطاجة، وكان المعبد قد شهد الفصل الأخير من فصول الصمود والدفاع عن المدينة عام 146 قبل الميلاد، ويبدو أنه من الآلهة المحبوبة في قرطاجة، حيث كان كثيرا ما يضاف اسمه إلى أسماء الأعلام.[77]

وفي إقليم المدن الثلاث لم يتم العثور على أدلة تؤيد انتشار عبادته فيها، ولكن دخول اسمه في تركيب بعض أسماء الأعلام، مثل: عبد أشمون (Abdusmun)، يدعو إلى الاعتقاد بأن أشمون كان من الآلهة المحببة في الإقليم، وأن عبادته كانت معروفة في مدنه وبين سكانه، ومن النقوش المكتشفة في المدن الثلاث وتحمل اسم عبد أشمون شاهد قبر اكتشف بضواحي مدينة سرت، يعود تاريخه إلى القرن الرابع الميلادي، وظهر الاسم- أيضا في النقوش البونية الجديدة، فقد ورد ذكره في أحد نقوش مقبرة بئر دريدر.[78]

وكان المدبر لأمر صيدا إله آخر هو الإله أشمون، و لم يكن يحمل لقب بعل، وإذا وقع كتاب اليونان في اختلافات كثيرة عندما قاربوا بين الآلهة الفينيقية وغيرها، فإنهم مجموعون على رأي واحد بالنسبة لأشمون، وهو أن له هوية أسكيليبيوس، وعلى هذا الأساس يمكن أن نعده إله الصحة أو الطب، وأن ندخله في الأصل في زمرة الآلهة السفلية.[79]

76- محمد بيومي مهران، الحضارة المصرية القديمة، المرجع السابق، ص.319.

77- فراس السواح، المرجع السابق، ص.113.

78- استيفان اقزال، تاريخ شمال افريقيا القديم، تر: محمد التازي سعود، ج4، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 2007، ص.248.

79- جورج كونتنو، الحضارة الفينيقية، المرجع السابق، ص.122.

د. الإله شادرافا (Shadrafe):

إله مدينة صور، إله الخصب والعالم السفلي، كما يدل اسمه والرسومات التي تمثله على أنه إله للشفاء أيضا، فقد ظهر في بعض رسوم مدينة تدمر مصحوبا بالثعابين، وكان من أهم الآلهة الفينيقية التي عبدت في الإقليم، فقد كان يمثل الإله الحامي لمدينة لبدة الكبرى، لذلك أقيم له وللإله ملك عشترت معبد مشترك وسط الجانب الشمالي الغربي من الميدان القديم (ForumVenus) وقد ورد اسمه في بعض النقوش المكتشفة في المدينة[80].

جرت عبادته في كل من أويا، وصبراتة، وكانت قد انتشرت عبادته في مناطق متفرقة من العالم الفينيقي، حيث أقيم له معبد في مدينة قرطاجة، وفي العصر الروماني تمت مطابقته بالإله ليبرباتر (Liber Pater) ربما لاتفاقهما في بعض الخصائص منها توفير الحماية للإنسان، واهتمامهما بالزراعة والخصوبة وفي بعض الحالات يطابق مع الإله باخوس (Bacchus).[81]

هـ. الإلهة تانيت (Tanit):

تعتبر الإلهة تانيت أكثر الآلهة قرطاج شهرة (انظر الشكل 5)، وقد احتلت المرتبة الأولى في النصوص النذرية البونية منذ القرن الخامس قبل الميلاد، حيث أثارت هذه الظاهرة جدلا كبيرا بين المؤرخين فهناك من ربط بروزها في قرطاجة خلال هذه الفترة انعكاسا للتغيير السياسي والديني، واعتبر دليلا على تراجع مكانة الإله بعل حمون الذي ارتبط بدوره بتراجع العائلة الماغونية التي كان يسهر على حمايتها إلا أنه لم يتمكن من تجنيبها هزائم تكبدتها خاصة هزيمتها في معركة هميرا سنة 480 قبل الميلاد ضد الإغريق.[82]

80- استيفان اقزال، تاريخ شمال إفريقيا القديم، المرجع السابق، ص.249.

81- جورج كونتنو، الحضارة الفينيقية، المرجع السابق، ص.135.

82- بورونية شادلي محمد والطاهر، قرطاج البونية تاريخ وحضارة، المرجع السابق، ص.278.

الشكل 5: صورة مسكوكة لعملة فينيقية تظهر عليها تانيت

هنري س عبودي، معجم الحضارات السامية، مكتبة نرجس، ط2، لبنان، 1991، ص.275.

وهناك من ربطه بتجديد العلاقات بين قرطاجة وفينيقيا وخاصة مع مدينة صيدا وقوبلت هذه النظرية بانتقاد من طرف المؤرخ فرجاوي، ومن خلال النقوش والآثار المكتشفة فقد انتشرت عبادة الإلهة تاليت في بلاد المغرب القديم مثلما يستشف بنا النقوش والآثار وقل ما نجد نقشا من نقوش معبد الحفرة يخلوا من ذكر هذه الإلهة التي تعد وجه بعل، وهو الأمر الذي يدفع إلى التساؤل حول أصل عبادة هذه الإلهة التي تضاربت الآراء حولها، فهناك من اعتبرها إلهة ليبية بحجة أن هذا الاسم يبدأ وينتهي بتاء التأنيث بأغلبية الأسماء الليبية المؤنثة، وربطها البعض الآخر وأصبحت تانيت بالآلهة المصرية "نيت"* التي بناها البونيون وأضافوا لها تاء التأنيث بينما ربطها البعض بإلهة أشتارت آلهة الخصوبة والتناسل، التي نقلها الفلاحون الفينيقيون إلى قرطاجة وعرفت فيما بعد باسم تانيت وجه بعل، مما يجعلنا نعتقد وجود علاقة بين هاتين الإلاهتين لا سيما وأنها ظهرتا في نقشين اكتشفتا في قرطاجة وسيرتا.[83]

*نيت: إلهة مصرية قديمة، مثلت على شكل امرأة متوجة بتاج مصر السفلى، وتحمل في بعض الأحيان قوس وسهام وتعمل على حماية التوابيت الجنائزية، انظر: سليم حسن، موسوعة مصر القديمة، ج13، رفوف أونلاين، الإمارات، 2022، ص.83.

83- حارش محمد الهادي، حول أصول عبادة حامون في قرطاجة، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 5، معهد التاريخ، الجزائر، 1987، ص.12.

تعتبر الإلهة تانيت إلهة فينيقية غير أن عبادتها لم تظهر في قرطاجة إلا بعد النصف الثاني من القرن الخامس قبل الميلاد، وعلى امتداد القرون الثلاثة الأخيرة من حياة قرطاجة، حيث اصبحت تانيت محتلة المرتبة الأولى في المعبودات القرطاجية إذ اعتبرها "بكار" ثورة روحية حقيقية إذ أن تلك الثورة تعتبر انتصار للواقع الافريقي الذي فرض نفسه على النزعة المحافظة على الموروث الفينيقي الشرقي الذي لم يصمد أمام عقيدة لا تسفك دم إنسان تقرب الإله.[84]

و. الإلهة عشتار (Ishtar):

كانت مدينة صور أحد مراكز عبادة الإلهة عشتار ونشر الصوريون عبادتها في جميع أنحاء مستوطناتهم في البحر الأبيض المتوسط، وتعتبر الإلهة عشتار آلهة الجمال والمعارك والحرب،[85] كما أنها آلهة الخصب والقوة المبدعة في الطبيعة والحب والدليل على ذلك تلك التماثيل العديدة التي تصورها عارية مبرزو مفاتنها وكذلك البغاء المحرم الذي كان يعتبر أحد أشكال عبادة هذه الآلهة، وتظهر أحيانا كمحارب كما كان له طابع بحري، فهي تمثل الأم التي تحمي البحار من جهة ومن جهة أخرى تسهر على سلامة الموانئ، وقد ادى هذا التعدد في وظائفها إلى تشبيهها بآلهة مختلفة من البانتيون اليوناني الروماني فقد طابق اليونانيون بين عشتار وأفروديت وفي قرطاجة أعتبرت عشتار في العهد الروماني مطابقة ليونونا،[86] برزت الإلهة عشتار خلال الصراع الحاد بين الإله بعل وخصومه حيث ذكرت في ملاحم أوغاريت بالجمال وبحماية العدالة والتوازن.[87]

84- Charles-Picard, LES RELIGIONS DE LAFRIQUE ANTIQUE, ed. PLON. paris. 1954. pp 78.79.

85- بورويبة شادلي محمد والطاهر، المرجع السابق، ص.54.

86- بوبي براكوفيتش شركين، الحضارة الفينيقية في إسبانيا، تر: يوسف أبو الفضل، ط1، بيروت لبنان، 1988، ص.119.

87- يوسف حوراني، مجاهل تاريخ الفينيقيين، منشورات دار الثقافة، بيروت لبنان، 1978، ص.92.

كانت عشتار تمثل الحب الإباحي (انظر الشكل 6)، ولذلك كان من أهم رموزها العري، فكانت تظهر عارية في صورها ونقوشها، وكان الحصان أحد رموزها المهمة لما يمثله من قوة وطيش وكانت أيضا برموز مصرية معروفة مثل التاج المصري المضاف له قرنين جانبيين وعلامة الحياة (عنج)، التي كانت تمسكها الآلهات المصرية.[88]

الصورة 6: الإلهة عشتار (Ishtar)

ج. كونتنو، الحضارة الفينيقية، المرجع السابق، ص.136.

88 – خزعل الماجدي، المعتقدات الكنعانية، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2001، ص.86.

II. ظهور الأضاحي البشرية في الممارسات الدينية الفينيقية:

عرف الفينيقيون منذ القدم بتقديمهم القرابين البشرية وكان الهدف من هذه العادة الغريبة والمرعبة في نفس الوقت هي حصولهم على إرضاء ملك الموت "مولوخ" لأنه حسب اعتقادهم عند غضب الإله يسلط ويرسل عليهم الكوارث الطبيعية والأوبئة، ولهذا كان لزاما عليهم التضحية وتقديم أعز ما يملكون، إذ عرفوا بتقديم التضحية بأبنائهم الأبكار إذ يتم إراقة دمائهم وتلطيخيها على جدران إله موت.[89]

انتشرت في أوساط الفينيقيين ظاهرة تقديم قرابين بشرية وكان الهدف من ذلك إسكات إله الموت الفينيقي، إذ كان يرسل إليهم الأوبئة والكوارث الطبيعية حين كان يغضب إذ كان لزاما عليهم إسكات غضبه بتقديم قرابين وتضحيات من ممتلكاتهم وأبنائهم الأبكار، فكانت إراقة دمائهم وتلطيخها على جدار المذبحة هي الكفيلة بإسكاته.[90] كما أنهم كانوا يقدمون له قرابين أخرى تمثلت في أضحية حيوانية من أغنام وطيور، وكلما وجب على المضحي أن يقدم أضحيته البشرية أو الحيوانية هبة للإلهة متمثلة في الحبوب والزيوت والخمور، وعليه أن يتبع مراسيم لتقديم قربانه بحيث وجب عليه الاغتسال في البداية ثم بعد ذلك يقوم بوضع الحناء ويغسل يديه ثم يمسك ذبيحته ويصعد بها إلى المحرقة.[91]

تتم طريقة ذبح الأضحية وفق شروط يستلزم تطبيقها حتى تقبل الأضحية، ونذكر من هذه الشروط أن يضع صاحب الأضحية يده على القربان، ثم يذبحه بعد ذلك وأخيرا يرش دمه على المذبح ويحرق ذبيحته، وقد حافظ الفينيقيون على فكرهم العقائدي وطقوسهم العقائدية لكن ذلك لم يمنعهم من التأثر بالمعتقدات الأجنبية والانجذاب نحوها ومنها المعتقدات الإغريقية والرومانية، إذ أن الديانة الإغريقية فتحت أمام الفينيقيين مجال المعرفة وتركت لهم مطلق الحرية في اعتناقها وهذا ما كان وراء انصهار إغريقي في العقيدة الفينيقية وتأثر الفينيقيين بالأساطير الرومانية ومارسوا طقوسهم المعهودة.[92]

89- لبيب عبد الستار، الحضارات، دار المشرق، بيروت، 1977، ص.139.

90- دملوجي فاروق، تاريخ الأديان الألوهية وتاريخ الآلهة، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 2003، ص.263.

91- جان مازيل، تاريخ الحضارة الفينيقية الكنعانية، المرجع السابق، ص.208.

92- الحوراني يوسف، مجاهل تاريخ الفينيقيين، دار الثقافة، لبنان، 1999، ص.234.

مارس الفينيقيون الصلاة ومجدوا الآلهة ورددوا التراتيل وقدموا لها الأضاحي إلا أنه استدعى تقديم الأضاحي وجود مجموعة كبيرة من النساء والرجال مرتدين الثياب البيض من الكتان والقطن وقبعات شبيهة بالتاج[93]، وبحسب "لوشيان" أنه في أحد المناسبات بلغ عدد كبير من الكهنة 300 كاهن، إذ كانوا يذبحون الأضاحي ويسكبون الماء المقدس، ويحملون موقد البخور، إذ تبين النقوش الأوغارتية أن الابن الأكبر هو من يتم التضحية به للآلهة بعل أو الإله إيل في أوقات الحرب، وتعتبر التضحية بالبشر هي الشيء المقدس لدى الفينيقيين في البحر المتوسط، وكان تقديم الأضاحي البشرية خاصة بالأطفال في أوقات الشدة والخطر وانتشار الأوبئة، كما ضحى الأمراء بأولادهم على شرف الإله "ايل"، وذكرت لنا الأسطورة بأن الإله قد ضحى بابنه وذلك حين داهم خطر شديد بلاده إذ ألبسه لباس الملك وضحى به كقربان ومنه فتح بابا على الطقوس الدينية.[94]

وجاء ذكر التوفيت في الكتاب المقدس قرب البيت المقدس وهو المكان الذي تقدم فيه الأضاحي البشرية من الأطفال التي تسمي ملك أدم بمعنى الأضحية البشرية كقربان الآلهة، وهو اسم مستنبط من مكان في واد حينوم بالقرب من بيت المقدس بفلسطين، إذ كان الأطفال يقدمون على شرف الإله بعل.[95]

93- لبيب عبد الستار، الحضارات، المرجع السابق، ص.139.

94- عبد الحفيظ الميار، ظاهرة الأضحية البشرية في الديانة الفينيقية، مجلة آثار العرب، العدد 11، 12، ليبيا، 1999، ص.15.

95- عبد الحفيظ الميار، الحضارة الفينيقية، المرجع السابق، ص.223.

III. انتقال ثقافة تقديم القرابين البشرية عبر المستوطنات الفينيقية (قرطاجة):

قبل الحديث عن الأضاحي البشرية في قرطاجة لابأس أن نلقي الضوء على أصلهم والبنية التركيبة لمجتمعهم، يعتبر سكان قرطاجة فينيقيون اعتقد أن أصولهم سامية تعود إلى منطقتي الهلال الخصيب، ثم هاجروا نحو السواحل السورية خلال الألف الثالثة قبل الميلاد، وبها أسسوا مدن كثيرة مثل صيدا وصور، وفي إطار التجارة قاموا بتأسيس مراكز ومحطات تجارية في غربي المتوسط، كقادس ولكسوس واوتيكا، وكان من أهمها محطة قرطاجة، فالأصول الأولى لهم تعود إلى الفينيقيين المهاجرين من موطنهم الأصلي الأم نحو شمال إفريقيا، حيث اختلطوا بسكانها المحليين. [96]

أطلق على هؤلاء المهاجرين الذين استقروا في بلاد المغرب القديم عدة تسميات منها اسم (الليبو فينيقي) أي الفينيقيون الذين سكنوا بلاد المغرب القديم، إلا أن هذه التسمية أصبحت تطلق فقط على من كانوا يسكنون المدن القرطاجية والمتأثرين بحضارتها، وذلك بعد القرن الخامس قبل الميلاد. [97]

أما عن بنية المجتمع القرطاجي فلا يمكننا ولو بالتقريب إحصاء العدد الإجمالي لسكان مدينة قرطاجة، لكن من المؤكد أن المدينة أسسها صوريون، وأنه قدموا مع المعمرين الفينيقيين بعض القبارصة، [98] واعتمادا على الكتابات التاريخية القديمة، بما في ذلك المؤرخ "سترابون" الذي كتب بعد حوالي قرن ونصف بعد الحرب البونية الثالثة والذي يدعي أن عدد سكان قرطاجة بلغ سبعمئة ألف نسمة. [99]

96- محمد صغير غانم، التوسع الفينيقي في غربي المتوسط، رسالة ديبلوم الدراسات العليا في التاريخ القديم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط2، لبنان، 1982، ص.32.

97- S Warmington،(B.H), Histoire et Civilisation de Carthage, 814-146 AV.J. C,trad, Guillemin, (S M), payot, Paris, 1961, p 76.

98- مادلين هورس ميادان، تاريخ قرطاج، تر: إبراهيم بالش، منشورات عويدات، ط1، بيروت، 1981 المدن الكبرى، ص.49.

99- ول. ديورانت، قصة الحضارة، المرجع السابق، ص.119.

إن معظم المؤرخين القدماء كانوا يجهلون المدن الشرقية الليبية والتي انضمت إلى قرطاجة خاصة خلال القرن الخامس قبل الميلاد، وخلال المراحل الأولى من تأسيس قرطاجة، قدر عدد السكان بمئات الآلاف من المهاجرين من سكان صيدا واراود الذين اسقروا فيها خلال فترات متلاحقة، بالإضافة إلى الأهالي الذين جذبتهم خيرات المدينة، والعبيد الذين جيء بهم من مناطق مختلفة، والتجار والحرفيين من إيطاليا وصقلية وبلاد الإغريق.[100]

كان في قرطاجة التي أسسها الفينيقيون ظهور ثقافة تقديم القرابين، إذ كانت ظاهرة شائعة وكان استخدامها واسع النطاق في المجتمع القرطاجي، وهذا يدل على السيادة الدينية وتأثير العامل الديني في حياتهم ومستقبلهم محاولين التقرب بهاته العادة الخاصة إلى آلهتهم أملا للحصول على رضاهم وأن تكون معهم في حروبهم وتحقق معهم النصر، كما تقدم لهم الرفاهية الدنيوية تقربا للقوى الخفية ودفعا لشرها من ناحية أخرى، وتم العثور على بقايا رماد الأطفال الذين كان يضحى بهم في المعابد مما يؤكد ما ذكره المؤرخون اليونان والرومان عنهم.[101]

تم التضحية بمئة طفل في الحصار الذي مرت به قرطاجة (307 ق.م) إذ تم تقديم أرقى أسرهم[102]. لقد عمد القائد القرطاجي "هملكار" إلى الإلقاء بعشرات الضحايا في محرقة مريعة وذلك في معركة "هيرا"* ضد العدو الإغريقي ورغم ذلك تراجع جنوده وتقهقروا إلى الوراء أمام المد الإغريقي فما كان منه إلا أن يرتمي على ألسنة النار الحارقة ومات من حينها وبهذا عمد أتباعه إلى تشييد نصبا تذكاريا عظيما له في قرطاجة وبقية المستعمرات[103].

100- خير الله شوقي، قرطاجة العروبة الأولى في المغرب، مركز الدراسات العلمية، ط1، سوريا، 1992، ص.74.

101- ول. ديورانت، قصة الحضارة، المرجع السابق، ص.120.

102- رشيد الناضوري، تاريخ المغرب الكبير، المرجع السابق، ص.216-217.

* 480 ق.م هزم فيها الجيش القرطاجي أمام الإغريق في صقلية فتحولت من إمبراطورية بحرية إلى برية وتحول سكانها من فينيقيين خالصين إلى خليط من الأفارقة والفينيقيين. انظر: برايس، ف، القرطاجيون وإمبراطوريتهم البحرية، مكتبة النهضة المصرية، مصر، ص.262.

103- رشيد الناضوري، تاريخ المغرب الكبير، المرجع السابق، ص.195.

ظهر القائد العسكري هنيبعل، بعدها بسنوات منتقما لجده "هملكار" (Hamilcar)، إذ جمع عدد كبير من الأسرى وقدمهم كتضحية بشرية إلى روح جده[104].

وفي الجهة المقابلة نجد أن المستعمرات الفينيقية في هسبانيا لم تكن بأقل وحشية عن أخواتها القرطاجية أو أمها الفينيقية فقد شهد "شيشرون" عدد من هذه القرابين الوحشية التي تحرق فيها الضحية تقربا إلى "مولخ"، مما دفع يوليس قيصر إلى منع أهالي قادش من القيام بهذه الطقوس البربرية ومثلهم الكنعانيون في فلسطين الذين كانت لديهم هذه العادة.[105]

تم العثور على صندوق يحتوي عظام للأطفال في حفائر "كفر الجرة" تحت سور كضحية ومن أهم القرابين التي قدمها القرطاجيون هي تقديمهم لأبنائهم البكر كقربان للإله "بعل حمون" و"تانيت" حيث قدموا لآلهتهم الكثير من أنواع القرابين والهبات المختلفة إذ تميز هذا الفعل به الفينيقيين عن غيرهم من الشعوب الأخرى ونجد أنهم مارسوها بشكل فيه شيء من المبالغة، إذ تعد شعيرة تقديم أطفالهم لمذبحة "بعل حمون" التي تعد أبرز وأشهر الممارسات الطقسية الدينية وأبشعها في نفس الوقت، هذه العملية التي أثارت في وقتنا الحاضر جدلا كبيرا بين المؤرخين المعاصرين، فمنهم من يرفض ما تناقلته المصادر القديمة بشأن تقديم القرطاجيين أبناء الذكور البكر قربانا للآلهة، ومنهم من يؤكد ذلك، هذه العملية المعروفة بملوك[106] (molok)، وكان القرطاجيون عبادا لآلهتهم، فلم يتوانوا عن تقديم أبنائهم وأنفسهم لها، "كبعل حمون" و"تانيت" خاصة، وكانوا حسب اعتقادهم أن ما يقومون به من تضحية يجعلهم يضمنون حياة ورفاهية في مدينتهم، وأنها تزكي الأضحية الخاصة بهم وتلحقها بعالم الآلهة المفضل.[107]

104- يولي بركوفيتش تسيركين، الحضارة الفينيقية في إسبانيا، المطبعة العربية، ط1، بيروت، 1988، ص.129.

105- حسن نعمة، ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة، دار الفكر اللبناني، لبنان، 1994، ص.91.

106- شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، المرجع السابق، ص.121.

107- محمد البشير شنيتي، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني ودورها في أحداث القرن الرابع الميلادي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص.260.

وتعتبر عادة ذبح الأطفال وحرقهم من العادات الدينية الأقوى عندهم، وما يلفت الانتباه أن الدولة القرطاجية كانت تسهر وتقوم برعاية هاته العادة وذلك بشكل دوري كل سنة إذ أن القرطاجيون كانوا يعتقدون أنها واجبة عليهم حتى تستمر حياة المدنية والسكان، فكان الأطفال يختارون من بين أفضل الأسر القرطاجية الوجيهة، ولم يكن يسمح لأولياء الضحية بالبكاء أثناء ممارسة تلك الشعيرة، وكانت هذه الشعيرة الدينية تقام في جو بهيج من الاحتفالات، وكانت تلك العملية المروعة في تصور شارل اندري جوليان (Charles andré julien) في كتابه تاريخ شمال إفريقيا قائلا: "إذ ترفع الضحية على يدي تمثال برونزي ثم تتحرك هاتان اليدان نحو الأسفل فتنزلق الأضحية في اللهب".[108]

قدم القرطاجيون أنفسهم "لبعل حمون" في الأوقات العصيبة التي مرت بها المدينة القرطاجية شرع القرطاجيون بشراء الأطفال سرا وبدأوا بتغذيتهم، ومنه تمت التضحية بهم لكن بعد ذلك اكتشفوا أن بعض الأطفال المضحى بهم كانوا بدلاء عن أطفال آخرين واعتقد القرطاجيون أنهم خالفوا التقاليد الرفيعة، ومن أجل التكفير عن خطيئتهم عمدوا إلى اختيار أفضل أطفالهم الذين كان عددهم 200 طفل وقاموا بالتضحية بهم باسم الدولة، وكان يوجد في قرطاجة تمثال برونزي مادا يديه بشكل منحني نحو الأرض وراحة كفيه إلى الأعلى، بحيث كان طفل الذي يوضع فيها يدور ليسقط في حفرة مليئة بالنار.[109]

ويتحدث الكتاب الإغريق واللاتينيون عن ممارسة القرطاجين لطقس تقديم القرابين البشرية على شرف أربابهم، وترجع أقدم إشارة بهذا الخصوص إلى القرن الخامس قبل الميلاد، حيث ذكر "ديوديور الصقلي" تفاصيل أكثر حول تقديم قربان خاصة بأطفال صغار على شرف الرب "سانتون" أي "بعل حامون" وذلك مع نهاية القرن 4 ق.م، ويضيف قائلا بأن الهدف من هذا هو الحصول على رضا الرب وتكفير الذنوب ومواجهة الشدائد والازمات التي

108- شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، المرجع السابق، ص.121.

109- فرانسوا ديكريه، قرطاجة أو إمبراطورية البحر، تر: عزدين عزوز، الأهالي للطبعة والنشر، ط1، سوريا، 1992، ص.147-150.

تحل بهم[110]. وعند كل مناسبة يتم إرسال سفينة أو بعثة استكشافية يقومون بوضع الضحايا في مقدمة السفينة وضمهم إلى الرصيف حتى الموت.[111]

مارس القرطاجيون عادة ذبح الأطفال وحرقهم إرضاء لآلهتهم كما من خلال الأثار التي وجدت في "التوفات" (انظر الشكل 7)، وحملت لنا بعض الإيضاحات عن الإجراءات المتبعة في تنفيذ هذه الطقوس الدموية التي كانت على ما يبدو تتم ليلا فلقد كان عازفو الناي وقارعوا الطبول يجلسون أمام الحفرة وكان على آباء الأطفال الذين سيضحى بهم أن يحافظوا على رابطة جأشهم ويمتنعوا عن البكاء، إذ أن البكاء والدموع لا يلقيان برفعة الطقوس الهادفة إلى تقديم عطاء كامل الى الإله وعلى الأم هي أيضا أن تداعب طفلها بحيث لا يصدر أي نحيب وفي اللحظة الموجودة تقوم بتسليمه إلى أحد الكهنة الذي يرتدي كامل حلته، فيحمله بين ذراعيه، وبدون شك كان يتم ذبح الضحية أولا وفق طقوس سرية، كانت سائدة قبل ذلك عند الفينيقيين ويوضع الجسد بعد ذلك على يد التمثال ليدور ويسقط في الأتون.[112]

الشكل 7: صورة كاهن يقدم طفلا منذورا للتضحية

فرانسوا ديكريه، قرطاجة الحضارة والتاريخ، المرجع السابق، ص.212.

110- عبد اللطيف ركيك، مقاربة لإشكالية أصول شعيرة تقديم القرابين البشرية عند القرطاجين، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، مجلد 2، العدد1، 2019، ص.11.

111- الشاذلي بورونيه محمد الطاهر، قرطاج البونية تاريخ وحضارة، المرجع السابق، ص.282.

112- محمد البشير، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني ودورها في أحداث القرن الرابع الميلادي، المرجع السابق، ص.57.

والدليل على انتشار هذه الطقوس الدينية المكتشفات الأثرية لآلاف النصب التي كتب عليها ما يلي: "إلى الربة "تانيت" بنت "بعل" وإلى السيد "بعل حمون"، هذا ما قدمه فلان بن فلان..." وتكررت هذه العبارة آلاف المرات، حيث يكتب المضحي به بعض الأحيان مهنته ومكانته الاجتماعية والعمل الذي كان مكلف به، مما يساعد الباحثين على دراسة مراحل تطور المجتمع القرطاجي، وتنظيماته السياسية، وشهد الفكر الديني القرطاجي بعد القرن الخامس قبل الميلاد تغييرا ملموسا في ميدان تقديم الأضحيات البشرية عندما بدأ الأغنياء ذووا العقلية الواقعية يقدمون للآلهة صغار الرقيق، أو يقومون بشراء أبناء الفقراء، لكي ينقذوا أبنائهم وبعد ذلك بدأت تعويضها بالأضحية الحيوانية في زمن نجهل بدايته بالضبط، عندما أمكن للمعتقدين أن لا يقدموا أطفالهم البكر قربانا "لبعل حمون" و"تانيت" ويقدموا عوضا عنهم خروفا تعرف هذه العملية باسم ملوخمور (Molokhur).[113]

تقديم القرابين البشرية في قرطاج موضوع معقد يجمع بين الأدلة الأثرية والنصوص التاريخية، مع وجود جدل كبير حول مدى دقة هذه الروايات. الأدلة تشير إلى أن هذه الممارسة ربما كانت جزءًا من الطقوس الدينية، لكنها قد تكون أيضًا قد بالغت فيها المصادر الكلاسيكية. الفهم الكامل لهذا الجانب من الحضارة القرطاجية لا يزال يحتاج إلى مزيد من البحث والدراسة.

113- فرانسوا ديكريه، قرطاجة الحضارة والتاريخ، تر: يوسف شلب الشام، دار طلاس، ط1، سوريا، 1994، ص.120.

الفصل الثانـــي:

الأضاحي البشرية
في مصر وبلاد الرافدين

I. بروز ظاهرة الأضاحي البشرية في مصر مع عصر الدولة القديمة

II. القرابين والأضاحي الآدمية في بلاد الرافدين

III. سيرورة الطقس الديني في حضارتي مصر القديمة وبلاد الرافدين

شهدت مصر القديمة خاصة خلال فترة الدولة القديمة بروز ظاهرة الأضاحي البشرية كجزء من الممارسات الدينية والاجتماعية، حيث ظهر فيها العديد من الطقوس والممارسات التي كانت تهدف إلى تحقيق الانسجام بين المجتمع والآلهة، والاعتقاد الشديد في الحياة بعد الموت إذ أن الموتى يحتاجون إلى رعاية وحماية لضمان انتقالهم السلس إلى العالم الآخر، لذا كانت الأضاحي البشرية تعد هبة للآلهة لضمان حياة المتوفى وتزويده بالخدم والمرافقين في حياته الأخرى.

I. بروز ظاهرة الأضاحي البشرية في مصر مع عصر الدولة القديمة:

قد صنف الدين المصري من الأديان الطبيعية، بمعنى أن أول معبود للمصري القديم كان من مظاهر الطبيعة، وخضع الحس الديني عنده لنفس التطور الذي خضع له المصري القديم فقد اختلف وفقا لمراحل كثيرة. وذلك لارتباطه ارتباطا وثيقا بالإطار الثقافي الذي وجد فيه. وفي الواقع لا توجد في مصر القديمة حدود للتجسيد والتأليه، فبالإضافة إلى مظاهر الطبيعة عبد مختلف المخلوقات الحية، مثل البقرة والتيس والتمساح والثعبان وغيرها من الحيوانات، بالإضافة إلى الحشرات والطيور مثل الصقر، ووصل بالمصري الحال إلى تقديس وتأليه الأفكار المعنوية مثل العدالة التي تجسدت في الإلهة "ماعت"* التي رمزو لها بالريشة.[114]

وفي حديث هيردوت عن مصر المصرين القدماء: "إن المصرين أشد بشرا تدينا، ولا يعرف أي شعب بلغ من التدين درجتهم فيه، فإن صورهم بجملتها تمثل أناسا يصلون أمام إله، وكتبهم في الجملة أسفار وعبادة ونسك..."، وكانت فكرة الإيمان بعد الموت "البعث" هي أهم اعتقاد احتل مكانة في نفسيته، لدرجة أن كل ما انتجه من فكر وعلم وفن كان أثر من أثار هذا الاعتقاد[115]. وقد حرص المصريون وبذلوا كل وقتهم وجهدهم ومالهم في بناء المقابر

*ماعت: تترجم أحيانا بكلمة الحق والعدل، وأحيانا بالاستقامة والنظام، وهي في اعتقاد المصرين إله الصدق والمثالية، صورت في هيئة امراة في القارب الشمسي، وتجلس على العرش في قاعة المحكمة الأوزيرية وترتدي ريشة نعام طويلة على رأسها. انظر: سمير أديب، موسوعة الحضارة المصرية القديمة، مرجع سابق، ص.700، 701.

114- طه الهاشمي، تاريخ الأديان وفلسفتها، منشورات دار الحياة، بيروت، 1963، ص.54.

115- محمد أبو زهرة، مقارنة الأديان: الديانات القديمة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1965، ص.5.

وتأثيثيها بحيث لم يعتبروا الموت هو النهاية وإنما هو رحلة خطر تتناثر خلالها شتى العناصر المكونة للشخص الحي، بينما يحتفظ كل منهما بتكامله الفردي.[116]

ظهر طقس التضحية البشرية في مصر الفرعونية حيث تعود أقدم الحالات إلى أواخر عصور ما قبل التاريخ المصري، في عهد نقادة الثاني "جرزي" 3500-3200 قبل الميلاد تم العثور على جثث مقطوعة الراس من طرف علماء المصريات تظهر وبالدليل التضحية البشرية. حيث تحتوي حجرة دفن الملك "حور" ** على ستة وثلاثين قبرا لذكور تتراوح أعمارهم بين 20 و25 عاما ماتوا خنقا. وحسب عالم المصريات "جاكوبوس" فان هؤلاء قتلوا في وقت واحد زيادة على ذلك تم العثور على ستة قبور أخرى تحتوي على رفات مسؤولي البلاط، والمزيد من الخدم والحرفيين.[117]

ويبدوا من المستحيل أن يكون كل هؤلاء الأفراد قد ماتوا في نفس الوقت لأسباب طبيعية، مما دفع علماء المصريات إلى الاعتقاد بأنه تم التضحية بهم للانضمام إلى ملوكهم في الحياة الآخرة. ومع ذلك، لم يكن الملوك فقط هم الذين مارسوا التضحية بالتوكيل. ربما لم تكن مصاطب واجهة القصر الضخمة من الأسرة الأولى التي تم العثور عليها في سقارة مملوكة لملوك، وإذا لم تكن مملوكة لملوك فهذا يعني أنه حتى الأفراد من ذوي الرتب العالية يمكن أن يكون لديهم" تضحيات التجنيب"* مع دفنهم. وهذا يعني أن التضحية بالتوكيل خلال هذه الفترة لم تكن مخصصة حصريا للملكية الملكية.[118]

116- خزعل الماجدي، ميتولوجيا الخلود، دراسة في أسطورة الخلود قبل الموتو بعده في الحضارات القديمة، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، 2002، ص.38.

117-Van Djik, Jacobus. "RETAINER SACRIFICE IN EGYPT AND IN NUBIA", The Strange World of Human Sacrifice, Studies in the History and Anthropology of Religion, Vol. 1 (Leuven, Peeters, 2007), p137.

*تضحيات التجنيب: عند المصريين القدماء كانت جزءا من ممارساتهم الدينية والاجتماعية، حيث كانوا يقومون بتقديم القرابين والقيام بطقوس معينة لتجنب غضب الآلهة، والتأكد من الحماية من الكوارث والأمراض، وضمان الحياة الأبدية بعد الموت. انظر: عبد العزيز صالح، حضارة مصر القديمة وآثارها، ج1، القاهرة، 2006، ص.380.

118- Van Djik, Jacobus. "RETAINER SACRIFICE IN EGYPT AND IN NUBIA", The Strange World of Human Sacrifice, Studies in the History and Anthropology of Religion, Vol. 1 (Leuven, Peeters, 2007), p140.

يرى بعض الباحثين -لاسيما غير المصريين- أن هناك أدلة على معرفة المصريين القدماء للتضحية البشرية في عصر ما قبل الأسرات، ويري هذا الفريق أن تلك الأدلة قد تنوعت ما بين العثور على دفنات لأضاحي بشرية، وما بين مناظر نقوش ورسوم متنوعة أشارت إلى وجود ومعرفة عادة التضحية البشرية في مصر أنذاك، وهنا عرض لأدلة وجود الأضاحي البشرية في مصر من جهة مدعيها، ومحاولة تفسيرها أو نفيها.

ولقد ظهرت أول أدلة معرفة التضحية البشرية في مصر منذ نهاية عصور ما قبل التاريخ وبداية عصر الأسرات وخاصة في فترة نقادة الثاني 3500-3200 قبل الميلاد إذ عثر في بعض جبانات تلك الفترة على ما يشير إلى عادة تقطيع أوصال جسد متوفى، كما عثر على العديد من الدفنات الآدمية التي كانت الجماجم فيها فصلت قصدا عن الأجسام وظهرت علامات القطع على فقرات الرقبة كما يبن الشكل التالي:[119]

الشكل 8: علامات قطع على فقرات الرقبة، المقبرة رقم 42 بجبانة هيراكونبوليس.
زينب عبد التواب رياض، دماء على بوابات العالم السفلي، مؤسسة هنداوي، 2017، ص.30.

119- زينب عبد التواب رياض، دماء على بوابات العالم السفلي، مؤسسة هنداوي، 2017، ص.30.

وفي الأسرة الثانية، نقل الملوك مقابرهم من مقبرة الأجداد في "أبيدوس"* إلى "سقارة"**. حيث إن وجهة النظر القائلة بأن ممارسة التضحية البشرية انتهت بعد الأسرة الأولى هي الرأي الأكثر شيوعا بين الأكاديميين في هذا المجال. ومع ذلك، هناك وجهات نظر أخرى بشأن التضحية البشرية المصرية القديمة، إن بعض علماء المصريات يشوهون التضحية البشرية وطقوس الانتحار الجماعي تماما. غالبا ما تم استخدامه قرب المقابر الفرعية لإثبات وجود تضحيات التجنيب، ولكن لوحظ أيضا أن المقابر القريبة من الملك كانت ممارسة معتادة استمرت حتى عصر الدولة القديمة. كما كان هناك خلاف حول فكرة بناء جميع القبور في وقت واحد.[120]

وكان من الأدلة ممارسة المصريين القدماء في عصر الأسرات لتقدمة الأضاحي البشرية، ما جاء في نقوش بعض البطاقات العاجية التي عثر عليها في الجبانة الملكية بأبدوس (انظر الشكل 9)، إذ نرى رجلا مقيد اليدين جاثيا على ركبته، وأمامه رجل آخر يوجه سكينه نحو رقبة الشخص المقيد، وبينهما وبالقرب من الرجل الجاثي يوجد إناء ربما كان لغرض استقبال وتجميع الدم السائل من الضحية، وخلف هذا المنظر نرى رجلا واقفا ممسكا بعصا، ربما كان شخصا ذا سلطة أو مكانة اجتماعية معينة.[121]

الشكل 9: منقوشة جدارية تظهر ممارسة التضحية البشرية في عهد الملك حور عحا

زينب عبد التواب رياض، دماء على بوابات العالم السفلي، المرجع السابق، ص.40.

* أبيدوس: مدينة مدافن أثرية مقدسة في مصر اسمها يوناني مشتق من الاسم القديم أبيدو، تقع في أقصى الصعيد المصري. انظر: محمد بيومي مهران، المدن الكبرى في مصر والشرق الأدنى القديم، ج1، دار المعرفة الجماعية، مصر، 1999، ص.80.

** سقارة: هي قائمة من الحجر الجيري، سجلت على جدران مقبرة أحد الكهنة يدعى شونري أحد مشرفي الأعياد في عهد رعمسيس الثاني. انظر: سمير أديب. تاريخ وحضارة مصر القديمة، المرجع السابق، ص.33.

120- Muhlestein, Kerry and Gee, John. "An Egyptian Context for the Sacrifice of Abraham", Journal of the Book of Mormon and Other Restoration Scripture 20/2 2011. p-p 70–77.

121- زينب عبد التواب رياض، دماء على بوابات العالم السفلي، المرجع السابق، ص.39-40.

استمر العثور على دفينات آدمية فسرها بعض الباحثين بأنها لأضاحي بشرية، وذلك في المقبرة الملكية "بأبيدوس" والتي تؤرخ بعصر ما قبل وبداية الأسرات، ولقد كانت المقبرة الملكية "بأبيدوس" واحدة من أكثر الجبانات التي عثر فيها على العديد من الدفينات الفرعية الملحقة بمقابر ملوك عصر بداية الأسرات، وعثر فيها كذلك على أدلة تثبت وجود الأضاحي البشرية في العديد من تلك الدفينات الفرعية المتنوعة ما بين آدمية وحيوانية،[122] وتم العثور على عظام مفككة والبعض الآخر هيكل مكتمل الجسد مزود بمتاع جنائزي وذلك بملحقة المقبرة الخاصة بالملك "حور عحا" إضافة إلى عادة الدفن في مصر القديمة إذ نجد دفينة آدمية قد دفنت في وضعية القرفصاء وزود ببعض الأواني الفخارية كنوع من المتاع الجنائزي للانتفاع بها في عالمه الآخر.[123]

وكذلك عثر على مقبرة بها مجموعة من العظام الآدمية تم تجميعها داخل تابوت خشبي، وبالقرب منها هيكل عظمي جيد الحفظ لامرأة، ومن خلال الفحص والدراسة تم تحديد العمر الزمني لأصحابها، وتبين أنها عظام لأفراد تتراوح أعمارهم ما بين 20 و25 عاما، ولقد أفاد بعض الباحثين أن هؤلاء الأفراد كانوا من خادمي القصر الملكي، تم دفنهم مع الملك ليداوموا على خدمته في العالم الآخر، أو رغبة من هؤلاء الأشخاص في أن يدفنوا بعد وفاتهم مع ملكهم والذي هو صورة الإله عندهم، ويعتقد بعض الباحثين أن الأشخاص الذين رافقوا الفرعون إلى قبره لم يقتلوا بل انتحروا طوعا عن طريق تناول السم. مما جعل العديد من علماء الآثار يؤكدون ممارسة المصري القديم لعادة التضحية البشرية منذ عصور ما قبل وبداية الأسرات.[124]

122- عبد العزيز صالح، حضارة مصر القديمة وآثارها، ج1، القاهرة، 2006، ص.179-180.

123- Barry, J. K., "Abydos and the Royal Tombs of the First Dynasty", in: Journal of Egyptian Archaeology, 1966, pp. 13-22.

124- Lemara, D., Re-Examining a First Dynasty Egyptian Cemetery. A thesis submitted to the Faculty of Graduate Studies and Research in partial fulfillment of the requirements for the degree of Master of Arts, Alberta, 2012, pp. 135-139.

ولقد تكرر العثور على ما يقرب 317 دفينة من الدفينات الفرعية الآدمية. أيضا بالقرب من مقبرة الملك «جر» (انظر الشكل 10)، وعلى ما يزيد عن 242 دفينة عثر عليها حول سياج مقبرته ليبلغ إجمالي ما عثر عليه حوالي 559 دفينة آدمية فرعية لنساء ورجال تمت التضحية بهم ودفنهم حول مقبرة الملك «جر» وبالقرب منها بالجبانة الملكية بأبيدوس، مما جعل كثيرا من العلماء يميلون إلى اعتبار أن تلك الدفينات كانت لخدم تمت التضحية بهم ودفنهم أحياء مع أدواتهم ومتاعهم كي يكونوا برفقة الملك لخدمته في العالم الآخر، وإن هذا التقليد لم يستمر وإنما استغني عنه في نهاية المطاف بوضع هيئات آدمية رمزية برفقة المتوفى داخل المقبرة.[125]

الشكل 10: صورة مقبرة الملك جر من ملوك الأسرة الأولى، جبانة أبيدوس.

https://nar-mer.tripod.com/abydos/qaab_fr.htm (21/06/2024)

125- Morris, E. F., a Sacrifice for the State: First Dynasty Royal Funerals and the Rites 19 at Macramallah's Rectangle. In Performing Death: Social Analyses of Funerary Traditions .in the Ancient Near East and Mediterranean, Chicago, 2007, pp. 15-37.

ولم تقتصر تلك الممارسة على البشر وإنما عرفت أيضا عادة التضحية الحيوانية، وظهرت بكثرة في العديد من المقابر في عصر ما قبل وبداية الأسرات، وكان من أهم ما تم العثور عليه بالقرب من موقع المقبرة الملكية "بأبيدوس" دفينة حيوانية لحمار عثر عليه بالقرب من الجدار الشمالي الشرقي لما تم اكتشافه مسبقا لدفينات حمير كانت ملحقة بمقبرة أحد ملوك الأسرة الأولى.

وإذا كان بعض الباحثين نظروا إلى مثل هذه الدفينات باعتبارها أضاحي بشرية ترافق الملك في العالم الآخر، فإن البعض الآخر يرى أن المصريين القدماء عرفوا ظاهرة التضحية البشرية من أجل أغراض طقسية أو دينية، وقد فسر هذا الفريق وجود مقابر حول الأهرامات في "الجيزة "و"سقارة "و"أبي صير" وغيرها والتي كانت تضم أجساد العديد من المقربين للملك، بأنهم جميعا تم قتلهم عنوة حتى يرافقوه ويعيشوا معه الحياة الأخرى تماما كما كانوا يشاركونه الحياة الدنيا، ولكن هذا رأي يجانبه الصواب، لأن المقابر التي عثر عليها حول تلك الأهرامات ما هي إلا مقابر العمال الذين كانوا يقومون بالعمل في بناء الأهرامات.[126]

ويذكر ديودور الصقلي أن أعضاء أوزوريس قد دفنت كما يليق بيها بالطريقة التي ذكرنا ولكن زوجته إزيس رأت سوءته التي ألقى بها "تيفون" في النهر، حيث أقامت لها صور في المعابد واحتضنتها بالتبجيل وقدمت الضحايا للإله "أوزوريس" ويتابع قائلا أن اليونانيين أخذوا عن مصر الشعائر السرية وعبادة الإله "ديونيسوس" في طقوسهم الخفية وشعائرهم السرية وعند تقديم الأضاحي لهذا الإله.[127]

126- عبد الحميد عزب، التضحية البشرية في مصر القديمة، مصر، 2014، ص.34.

127- ديودور الصقلي في مصر ق1ق.م، تر: وهيب كامل، دار المعارف، قاهرة، 1890، ص.48.

II. القرابين والأضاحي الآدمية في بلاد الرافدين:

كان الدين في بلاد الرافدين متعدد الآلهة به معابد كبيرة تقدم فيها الأضاحي كجزء من الطقوس الدينية لتهدئة الآلهة والامتنان لها حيث أن هذه الأضاحي تضمنت الحيوانات في بعض الأحيان لكن في بعض الحالات النادرة كانت تشمل الأضاحي البشرية.

يذكر المؤرخين أن طقوس الأضحية البشرية كانت منذ القدم موجودة في العراق القديم وذلك في العصور الأولى، إذ نجد أن هذا الطقس انقرض عن الوجود خلال الألف الثالث قبل الميلاد، وحل محله ذبح الخراف، ويفهم مما سبق أن ذبح الخراف لم يكن طقسا قديما في العراق القديم وإنما جاء بدلا عن التضحية بالإنسان ابتداء من الألف الثالث ق.م، واعتقد العراقيون القدماء أن آلهتهم كانت تفرح بالأضاحي البشرية المقدمة لها وأن آلهتهم لا ترضى أقل من هذه التضحيات. كما كان للأضاحي قيمة كبرى في العرف الخاص بالسومريين، فهي التي ترضي وتحببها للبشر وترد عنها المكاره والمساوئ، وتنزل المطر، وتخصب الحقول، وتشفي المرضى، ولقد اكتشف في معبد العبيد تمثالا "نين هرساج" مهمته حماية ورعاية أمراء المستقبل.[128]

أما فكرة الأضاحي البشرية التي تحدث عنها السير "ليوناردو ولي"، بعد أن اكتشفت في "أور" (انظر الشكل 11) في منطقة المقابر الواقعة جنوب "زقورة "الإله "ننا" مجموعة من المقابر الملكية، حيث وجدت فيها هياكل بشرية يتراوح عددها من 3 إلى 74 شخصا، وكان قسم من تلك الهياكل البشرية لنسوة يرتدين الملابس الحمراء ويتزين بالحلي والأحجار الكريمة، وبجانب بعضهن قيثارات ذهبية، أما الهياكل الأخرى كانت لرجال مسلحين ورجال ممددين إلى جوانب عربات كانت تجرها الثيران (انظر الشكل 12)، وقد اعتقد "وولي" بأن هذه العربات استخدمت لنقل رفاة الملك ونفائسه، وكان مشهد الدفن يدل على مراسيم وطقوس احتفالية وقد فسر "وولي" هذه الظاهرة بأن الملك كانت تدفن معه حاشيته لتضمن له البقاء

128- سامي سعيد أحمد، المعتقدات القديمة في العراق القديم، المركز الأكاديمي للأبحاث، بيروت، 2013، ص.62.

بعد الموت، ولكن نظرا لقلة ظهور هذه المقابر في سومر ووادي الرافدين جعلها محل ريبة، ويقول "كريمر" أن هذا الطقس كان ملكيا معمولا به في تلك العصور، ولكنه انقرض بعد الألف الثالث ق.م.

الشكل 11: صورة مقابر أور الملكية
https://antikforever.com/ur (21/06/2024)

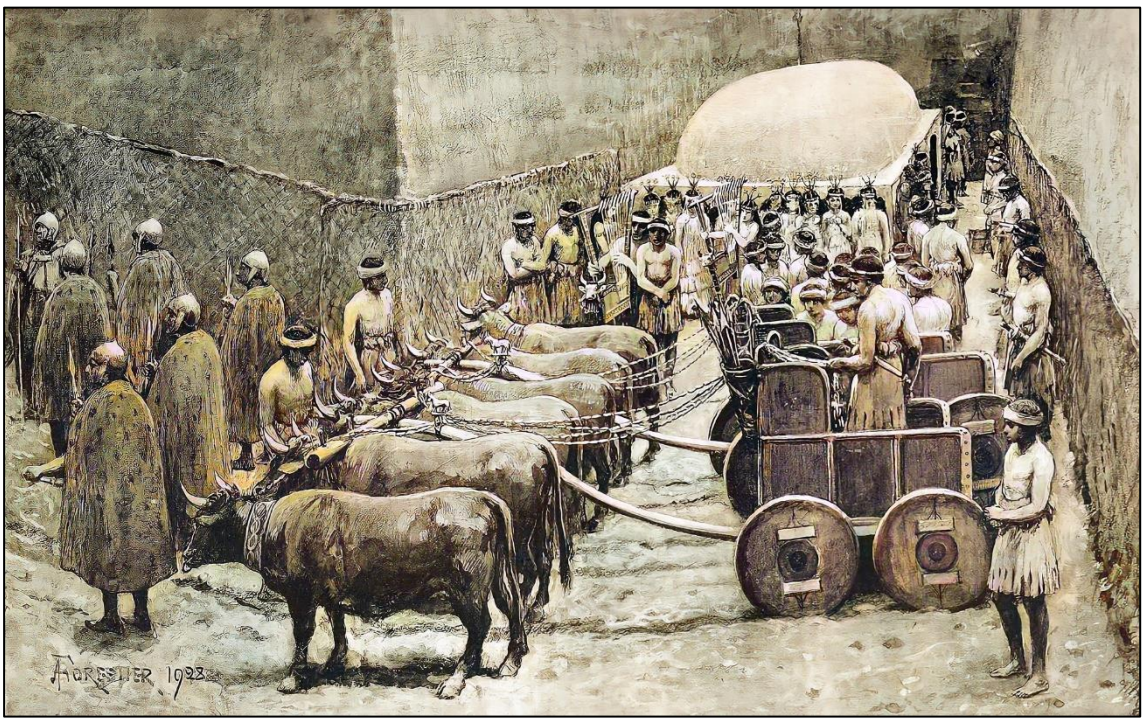

الشكل 12: صورة لإعادة تخيل لما جاء بجبانة أور تبين السائقين والثيران والعربات الحربية التي تجرها.

129- خزعل الماجدي، متون سومر الكتاب الأول، المرجع السابق، ص.320.

https://fr.topwar.ru/242510-pohorony-v-drevnej-mesopotamii.html (21/06/2024)

كان من الرجال الذين يخلون بالاتفاقيات السياسية لزاما عليه تقديم صدقة للإله مقابل الصفح عن جرمه، وتوضع صدقة على ركبتي هذا الإله وكان في بعض الأحيان يحرق أحد أبنائه أمام تمثال الآلهة لأن مثل هذه الشواهد لم تكن مألوفة في العراق القديم، ولا نعرف على وجه اليقين إن كان أولئك الأولاد قدموا حقا كقرابين.[130]

كما توجد أيضا شعيرة ذات صلة بقرابين الفدية، وهي شعيرة لم تستخدم إلا نادرا وتتمثل في تعيين ملك بديل، يتولى الحكم عادة 100 يوم وتكون مهمته تحمل نتائج كل العواقب الشريرة التي تهدد الملك الحقيقي، اعتمادا على التنبؤات التي كان معمولا بها في العراق القديم وربما ينتهي هذا البدل بالموت لتجنب الدولة كوارث توشك أن تنزل بها.[131]

عثر على العديد من المقابر والدفنات الآدمية التي لا تخلو من الغرابة وذلك في مواقع عدة ببلاد الرافدين، وهي توضح العديد من العادات والطقوس الجنائزية التي كانت متبعة هناك ومن أهم المواقع نجد تل العربجية، الجبانة الملكية بأور، مارست أغلب الحضارات القديمة التضحية البشرية، ومنذ البداية ارتبطت هذه الأضاحي بالطقوس الدينية ومعتقدات ما بعد الموت، فقد ظهر في المقابر الملكية بأور إحدى عادات الدفن الغريبة، حيث تمثلت في دفن الخدم والاتباع وحتى الحيوانات مع الملوك باعتبارهم متاع جنائزي[132].

130- ف فون، زودن، مدخل إلى حضارات الشرق القديم، تر: فاروق اسماعيل، دار الثقافة للنشر والتوزيع، سوريا، 2003، ص.211.

131- سامي أبو شقرا، موسوعة الأديان، دار الاختصاص، بيروت، 1989، ص.85.

132- زينب عبد التواب رياض، دماء على بوابات العالم السفلي، المرجع السابق، ص.66-67.

III. سيرورة الطقس الديني في حضارتي مصر القديمة وبلاد الرافدين:

1. سير الطقس الديني في مصر:

ما بعد العصور التاريخية في حدود منتصف القرن الرابع قبل الميلاد، كان الدينان السومري والمصري يشكلان أعظم جذرين راسخين في الحياة اليومية لإنسان العالم القديم، إذ كان الدين المصري يتشكل بخصوصية نادرة ويرسم معه كل خصوصية مصر وشعبها العريق الذي ظهرت حضارته العظيمة المبكرة، وكانت الطقوس تعكس نمطا جديدا من التصور الروحي الذي كان له أعمق الأثر في أيام تلك العصور، وكانت الصلاة طقسا دينيا يؤديها الكاهن والملك والإنسان العادي، حيث كانت تقام على أشكال منها الركوع والسجود والوقوف بذل وخشوع أمام تمثال الإله، وقد كان الملك والكهنة وأصحاب الرتب العالية هم فقط من يسمح لهم بمشاهدة الإله والصلاة بين يديه كل صباح.[133]

بقيت نسختان من الكتاب المقدس التي تصف الطقوس الدينية التي كان الناس يمارسونها في جميع المعابد، حيث تبدأ بأن الكاهن يتطهر في البحيرة المقدسة التابعة للمعبد، وعندما يدخل الكاهن المعبد يوقد النار، ويجهز مبخرة مزودة بالفحم والبخور، ومنه يتجه نحو تمثال الآلهة الذي هو موجود في المحراب الداخلي وبعد السجود والركوع يقدم له بعد ذلك القرابين الواجب تقديمها، بعد الانتهاء من هذه الطقوس يقوم بتجريد تمثال الإله من ثيابه ويطهره ويزينه بثياب مناسبة، ويلي ذلك إقامة مأدبة مقدسة قبل أن يوضع التمثال في مكانه.[134]

بعد أن يدخل الكاهن المعبد وبعد أن يتطهر كما ذكر، يقوموا بنزع الخاتم الطيني من على الباب ثم يدفع المزاليج، ليظهر التمثال له حيث يقوم بالركوع له ويرتل بعد الصلاة نشيد أو

133- خزعل الماجدي، الدين المصري، المرجع السابق، ص.225.

134- جفري بارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، تر: إمام عبد الفتاح إمام، مجلس الوطني للفنون والأدب، الكويت، 1993، ص.24.

اثنين ويحرق مزيد من البخور، بينما يدور أربع دورات حول التمثال ثم في النهاية يضعه في مقصورته وينزع عنه الملابس القديمة ويمسحه بالزيت.[135]

كان طقس تقديم القرابين تقليدا مصريا على أساس أن الآلهة والأموات من الناس في حاجة إلى الطعام كما يحتاجه الناس الأحياء، إذ أن تقديم القرابين يعتبر عند المصرين طقسا يوميا ثابتا إذ يقوم بها كهنة المعابد في الاحتفالات الدورية.[136]

ونذكر من بين الطقوس الممارسة عند المصريين القدماء، الطقوس الجنائزية حيث اهتموا بها أيما اهتمام حيث كانوا يحتفلون بدفن الموتى، معتقدين أن سعادة الشخص الميت المستقبلية متوقفة على هذا الاحتفال، حيث أن الميت كان يدفن ولا تحرق جثته أبدا ونلاحظ أنه كانت تمارس عليه بعض الطقوس معتقدين أنه بهذه الممارسات أن حياته تتجدد وجميع قدرات الجسد.[137]

اهتم مشيعو الجنازة اهتماما كبيرا بالقبر، بحيث كانوا يحتفلون باليوم الذي يحمل فيه إليه، إذ تظهر مظاهر الأبهة والعظمة فيه، وأننا لسنا متأكدين من مقدار المدة التي كانت تفصل بين يوم الوفاة ويوم تشييع الجنازة، ولكنها كانت على أي حال مدة طويلة مهما كانت الطريقة التي تتبع في التحنيط، وتشيع الجنازة مع موكب من الأقارب وتماثيل الآلهة والنائحات لتبحر في النيل، ثم يصعد بها ببطء باتجاه المقبرة من أجل دفنها.[138]

جرت العادة في مصر القديمة أن يوضع مع الموتى نصوص مقدسة وصلوات وأدعية لحمايتهم في رحلة الحياة الأخرى، كانت هذه النصوص تكتب على جدران المقابر والأهرامات

135- ياروسلاف تشرني، الديانة المصرية القديمة، المرجع السابق، ص.33.

136- خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص.238.

137- جفري بارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، المرجع السابق، ص.25.

138- اندري إيمار وجانيت بوايه، تاريخ الحضارات العام، مجلد1، تر: فريد م داغرو فؤاد ج أبو الريحان، منشورات العويدات، بيروت، 1984، ص.108.

في العصور الأولى، وتطور الأمر فيما بعد أن كتبت على ورق البردي وخاصة منذ العام 1800 ق.م.[139]

2. سير الطقس الديني في بلاد الرافدين:

كان سكان بلاد الرافدين يؤمنون بوجود الآلهة المتعددة حيث كانت تتطلب العبادة وتبجيل من خلال طقوس محددة، تشمل الصلوات وقاربين والمهرجانات الدينية وكانت المعابد أماكن مقدسة تقام فيها طقوس وكانت تعتبر بيوت للآلهة، يتم الاهتمام بها يوميا.[140]

ونظرا لاتصاف ديانة بلاد الرافدين بمبدأ الحيوية وتجسيد الظواهر الطبيعية بهيئة آلهة فقد نتج عنه آلهة كثيرة ومنها آلهة الكون: "آن أنو" وهو إله السماء وهو على رأس الآلهة السومرية وهو يسكن السماء، وكتب اسمه في صورة تشبه صورة النجمة ذات ثمانية رؤوس ومراكز عبادته كانت في دير وأكد والوركاء.[141]

قد عرف في بلاد الرافدين نوعان من الطقوس المتعلقة بعادات الدفن: النوع الأول، الدفن العادي، حيث تم الدفن تحت أرضيات البيوت، في وضع منثن، على أحد الجانبين، ترافقه أدوات الزينة والأواني الفخارية. أما النوع الثاني من عادات الدفن، فهو حرق الموتى، وجمع الرماد في جرار فخارية.[142]

ظهرت بعض طقوس الخاصة بعبادة الجماجم وتقديسها على اعتبار أن إنسان بلاد الرافدين كان يميل إلى تقديس روح المتوفى، واتخذ من الجمجمة تجسيدا لها مما أدى فيما بعد ظهور بعض الممارسات الطقسية المتعلقة بهذا النوع من العبادات.[143]

139- محمد عباس حمودة، تاريخ الكتاب الإسلامي المخطوط، دار غريب للطباعة والتوزيع، القاهرة، 1998، ص.20.

140- سلطان محيسن، عصور ما قبل التاريخ، منشورات جامعة دمشق، ط6، 1996، ص.31.

141- George Contenau, La Vie Quotidienne a Babylone et en Assyrie, Hachette, Paris, 1950, P 253.

142- سلطان محيسن، عصور ما قبل التاريخ، المرجع السابق، ص.31.

143- ميرسيا إياد، تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، تر: عبد الهادي عباس، دار دمشق، ط1، دمشق، 1986، ص.101.

حسب العقائد السومرية كان على أهل الميت دفنه وفق الطقوس المتبعة وتزويده بما يلزم من جرار تحتوي على الطعام والشراب ريثما يصل للعالم الأسفل. ومن ثم الاستمرار في تقديم الطعام والشراب والكساء له بعد دفنه عن طريق التقدمات المختلفة، وتقديم القرابين لآلهة العالم الأسفل لتكون رفيقة به. وتعتبر الطقوس الجنائزية والأضاحي هي التي تعين الميت أكثر من أي شيء آخر، حيث كان الاعتقاد السائد بأن انقطاع الطعام والشراب قد يؤدي إلى إثارة غضب تلك الأرواح وخروجها من العالم السفلي إلى عالم الأحياء لتأكل ما يرميه الناس من بقايا الطعام في الشوارع مما يجعلها تلاحق الأحياء لتشعرهم بوجوب ذكرها والاستمرار بتقديم الطعام والشراب، وإلا فإنها ستلحق بهم الأذى لأنهم كانوا السبب في حرمانها من الطعام والراحة في العالم السفلي[144].

من بين الطقوس الدينية الممارسة من طرف سكان بلاد الرافدين، هي الأضاحي النباتية التي كانت تقدم بكثرة إلى المعابد لإرضاء الآلهة والكهنة ومن بين هذه النباتات نجد الفاكهة، كما كان لهم تقديم قرابين أخرى المتمثلة في الحيوانات، مثل الثيران، المعز، الماشية، الغزلان، الخنازير وأنواع بعض الطيور.[145]

ونذكر بعض الطقوس المتمثلة في الإشراف على خدمة الآلهة في معبدها وعلى إقامة الصلوات والطقوس إذ يقوم بيها مجموعة من الكهان والكاهنات، وكان لكل واحد من هؤلاء لقب خاص به حسب المهمة التي يزاولها في المعبد، لا يخلو أي دين من ممارسة الطقوس فهي من أسياسيات الدين ومستلزماته وتتجلى العبادة في إجراء الطقوس بشكل روتيني إذ أن سكان بلاد الرافدين مارسوا طقوس يومية وليس المقصود هنا بالطقوس الشائعة والتقليدية.[146]

144- فرديريك ديليتش، بابل والكتاب المقدس، تر: إيرينا داود، دار العلم، ط1، دمشق، 1987، ص.44.

145- خزعل الماجدي، متون سومر، المرجع السابق، ص.275.

146- جفري بارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، المرجع السابق، ص.23.

تعتبر الصلاة من أهم الطقوس في ديانة بلاد الرافدين وحلقة وصل بين الأرض والسماء أو بين الإنسان والإله وارتبطت بممارسات محددة يتقدمها التطهير ثم الركوع والسجود ورفع الأيدي إلى الإله المعبود والتوسلات والتضرع والخشوع قصد استعطافه ومرجاة أن تحل البركة فيهم.[147]

ومن الطقوس الأخرى المهمة هو تقديم الأضاحي أو القربان والذي كان له دور مهم في الشعائر الدينية، فهو واجب ديني عند السكان، وكان القربان يتكون من الطعام المقدم للمعبود يصحبه حرق بعض النباتات ذات الرائحة، بحيث تظهر لنا اللوحات والصور بعضا من ممارسات السكان لهذه الطقوس.[148]

إذ كانت هناك طقوس تجرى بشكل مناسباتي، أي وفق أحداث محددة تمر بالإنسان، فقد كانت هناك طقوس كثيرة وشعائر مختلفة تصاحب كل عملية بناء معبد.[149]

كانت لكلا الحضارتين طقوس دينية متعددة ومعقدة كانت تشمل الصلوات والتضحيات والاحتفالات الدينية وتعتبر الطقوس الممارسة انعكاسا لعقائدهم الدينية ومفاهيمهم الكونية التي عبرت عن حياتهم الدنيوية وما بعد الموت إذ آمنوا أن هناك حياة بعد الموت ومارسوا طقوسا مثل التحنيط وتقيم الأضاحي للآلهة كما كان الحال في مصر.

147- رشيد عبد الوهاب حميد، حضارة وادي الرافدين- ميزوبوتاميا- دار الثقافة، دمشق، 2004، ص.93.

149- خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص.323.

خـــاتـــمـــة

خاتمة

من خلال رحلتنا المتواضعة في دروب هذه المذكرة وبعد تفحصنا لمجموعة من المصادر والمراجع المتعلقة بالموضوع، ينتهي بنا الحديث بما أتيح لنا من جهد حسب قدرتنا القاصرة على جمع مادته إلى جملة من النتائج قطفناها عبر مسالكه نوجزها إلى عدة استنتاجات يمكن تلخيصها فيما يلى:

رغم بدائية المجتمعات المنتمية إلى الحضارات القديمة ورغم قصر عقلها إلى أنها كانت متمسكة بدينها ومتشبتة بمعتقدها، إذ قدست آلهتها واحترمت رموز دينها مثل الكهنة الذين كان لهم دور الوسيط في كل عملية شعائرية دينية نحو آهتهم، من جهة أخرى نجد أن هذا التقديس سهل من عملية التواصل الروحي بين كلا الطرفين العبد ومعبوده.

تعتبر طقوس تقديم القرابين البشرية في الحضارات القديمة عادات ومعتقدات عميقة ترتبط بالأبعاد الحضارية التالية:

*__الدينية والروحية__: كانت القرابين تقدم للآلهة كتعبير عن التبجيل والاحترام، وكانت تعزز العلاقة بين الإنسان والإله.

*__الاجتماعية__: كانت القرابين تعزز التلاحم الاجتماعي والتكامل بين أفراد المجتمع من خلال المشاركة في الطقوس الدينية المشتركة.

*__السياسية__: كانت بعض القرابين تستخدم كوسيلة لتعزيز سلطة الحكام و التضامن بين الأفراد.

*__الاقتصادية__: كانت القرابين تشكل جزءا من الاقتصاد الديني للمعابد والمؤسسات الدينية، حيث كانت تقدم تبرعات مادية تساهم في دعم الحياة الدينية والاجتماعية.

*__الفنية والثقافية__: كانت بعض الطقوس المصاحبة لتقديم القرابين تعكس الفنون والموسيقى والتعبيرات الثقافية للحضارات القديمة.

هذه الأبعاد تجسد كيف كانت القرابين البشرية جزءا أساسيا من نسيج الحياة اليومية والمعتقدات الدينية والاجتماعية والثقافية للحضارات القديمة.

يعتبر المعتقد الديني المحرك الرئيسي لكل فعل متعلق بالعبد ومعبوده، إذ يمكن أن يجعل من العبد مجرد خاضع يقوم بكل ما أملته عليه عقائده الدينية.

إن أصل المعتقد القرطاجي يعود إلى الفينيقيين ومنه نستنتج أن الديانة القرطاجية هي نفسها الديانة الفينيقية، إذ أنها لم تبقى شرقية خالصة بحيث دخلت عليها بعض التأثيرات بحكم إن الفكر الدين القرطاجي تميز بالامتزاج و التداخل.

أظهرت الأزمات التي مرت بها قرطاجة إبراز شعيرة تقديم القرابين كما كان الحال يوم حصارها إذ أقبل الكثير من سكانها على تقديم أبنائهم قربانا للآلهة آملين منها تأمين حماية لهم ورفع الغبن عنهم.

ارتبط القرطاجيون ارتباطا وثيقا بالجانب العقائدي، إذ كانت لهم معبودات متعددة ومن أهمها وأبرزها الإلهين بعل حمون وتانيت اللذين احتلا الصدارة في مجموع الآلهة التي عبدها القرطاجيون، كما كان لبعل حمون التأثير الأكبر في الطقوس القربانية البشرية، حيث لاحضنا تقديم له قرابين وبشكل غير عادي أو ان صح التعبير بشكل همجي ووحشي.

إن فكرة ممارسات المصريين القدماء لعادة التضحية البشرية تعتبر محور خلاف بين المؤرخين، فهناك طرف يقر بوجود هذا الطقس القرباني، وهناك طرف آخر ينفي ذلك.

لما كان المجتمع المصري القديم يعتقد بالخلود بعد الموت، قابله في ذلك تركيزه على أن يكون كل من مات من الملوك وجب على خدامه وحاشيته التضحية النفسية أي الموت، حيث كان ذلك حتمي أو طوعي حتى يواصلون خدمته في الحياة الأخرى.

رغم أن الأضاحي البشرية لم تكن ممارسة شائعة في بلاد الرافدين، إلا أنها كانت موجودة في بعض الأحيان ولأسباب محددة إذ توفر الأدلة والنصوص القديمة نظرة واضحة وتبرز تنوع الطقوس الدينية في هذه الحضارة القديمة.

الحديث عن الأضاحي البشرية في بلاد الرافدين ليس مجرد سرد للتاريخ الدموي، بل هو فهم لعلاقة الإنسان بالدين والطبيعة والمجتمع في إطار أعظم حضارة في التاريخ القديم.

مع أن ممارسة تقديم القرابين البشرية تبدو غريبة بالنسبة لنا، إلا أنها كانت بمثابة تعبير عن الإيمان العميق والعلاقة بين الإنسان ومعبوده.

في بعض الحضارات كانت القرابين تأخذ أشكال مختلفة، كالقرابين الحيوانية والنباتية والبشرية طبعا كما كان الشأن للحضارة المصرية القديمة.

على الرغم من اختلاف طقوس الأضاحي البشرية من حضارة إلى أخرى، فإن الهدف الأساسي لتقديم القرابين كان يهدف إلى إظهار التقدير والخضوع للقوة العليا وتحقيق توازن السلام في العالم الروحي والمادي.

من خلال هذا العرض البسيط لمسيرة شعائر القرابين البشرية منذ ظهورها، وتعامل المجتمعات القديمة معها؛ نستطيع القول أن الإنسان وعبر مراحله التاريخية لجأ الى شعيرة تقديم القرابين بشكلها العام، تارة خوفا من غضب الآهة وطمعا في رضاها، وتارة أخرى متوسمة وآملة أن تستمر آلهتهم في منحهم العطاء.

المصادر
والبيبليوغرافية

القرآن الكريم، رواية ورش، القدس، مصر، 2010.

المصادر والبيبليوغرافية:

أ. المصادر باللغة العربية:

هيرودوت، التواريخ، الكتاب II، تر: عبد الإله الملاح مراجعة أحمد السقاف وأحمد بن صاري، المجمع الثقافي أبوظبي، الإمارات، 2001.

ب. المراجع باللغة العربية:

ابن منظور، لسان العرب، دار الكتب العلمية، ط1، مجلد 3، لبنان، 1996.

أحمد إسماعيل يحي، الإسلام والمعتقدات الدينية القديمة، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط1، مصر، 2002.

أحمد عبد القادر الدسوقي، ملوك الفراعنة، هبة النيل العربية للنشر والتوزيع، مصر، 2008.

أدولف إرمان، ديانة مصر القديمة (نشأتها وتطورها ونهايتها في 4 آلاف سنة)، تر: عبد المنعم أبو بكر، محمد أنور شكري، مكتبة مدلوبي، ط1، القاهرة، 1995.

برايس. ف، القرطاجيون وإمبراطوريتهم البحرية، مكتبة النهضة المصرية، مصر.

جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء 1، جامعة بغداد، ط2، العراق، 1993.

حارش محمد الهادي، حول أصول عبادة حامون في قرطاجة، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 5، معهد التاريخ، الجزائر، 1987.

حسن نعمة، ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة، دار الفكر اللبناني، لبنان، 1994.

الحوراني يوسف، مجاهل تاريخ الفينيقيين، دار الثقافة، لبنان، 1999.

خزعل الماجدي، الدين المصري، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 1999.

خزعل الماجدي، المعتقدات الكنعانية، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2001.

خزعل الماجدي، متون سومر الكتاب الأول، الأهلية للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 1998.

خزعل الماجدي، ميتولوجيا الخلود، دراسة في أسطورة الخلود قبل الموتو بعده في الحضارات القديمة، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، 2002.

خير الله شوقي، قرطاجة العروبة الأولى في المغرب، مركز الدراسات العلمية، ط1، سوريا، 1992.

دملوجي فاروق، تاريخ الأديان الألوهية وتاريخ الآلهة، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 2003.

رشيد الناضوري، تاريخ المغرب الكبير، ج1، دار النهضة، بيروت، 1981.

رشيد عبد الوهاب حميد، حضارة وادي الرافدين- ميزوبوتاميا- دار الثقافة، دمشق، 2004.

زينب عبد التواب رياض، دماء على بوابات العالم السفلي، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2017.

سامي أبو شقرا، موسوعة الأديان، ج1، دار الاختصاص، بيروت، 1989.

سامي سعيد أحمد، المعتقدات القديمة في العراق القديم، المركز الأكاديمي للأبحاث، بيروت، 2013.

سليم حسن، موسوعة مصر القديمة، ج13، رفوف أونلاين، الإمارات، 2022.

سليمة إكرام، أسرار المصريين القدماء، مطبعة جامعة كاليفورنيا، 2005.

سميح دغيم، أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام، دار الفكر اللبناني، ط1، لبنان، 1995.

سمير أديب، موسوعة الحضارة المصرية القديمة، العربي للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2000.

الشاذلي بورونيه محمد الطاهر، قرطاج البونية تاريخ وحضارة، مركز النشر الجامعي، تونس 1999.

طه الهاشمي، تاريخ الأديان وفلسفتها، منشورات دار الحياة، بيروت، 1963.

عبد الحفيظ الميار، ظاهرة الأضحية البشرية في الديانة الفينيقية، مجلة آثار العرب، العدد 11، 12، ليبيا، 1999.

عبد الحميد عزب، التضحية البشرية في مصر القديمة، مصر، 2014.

عبد العزيز صالح، حضارة مصر القديمة وآثارها، ج1، القاهرة، 2006.

عبد المنعم أبو بكر، محاضرات في التاريخ المصري القديم، ط.خ.ك، القاهرة، مصر، 1939-1940.

عثمان أحمد مصطفى أحمد، قدس الأقداس وحجرة المقدسة في معابد الأسرة الثامن عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.

عمر سليمان الأشقر، العقيدة في ضوء الكتاب والسنة، دار النفائس للنشر والتوزيع، ط12، عمان، الأردن، 1999.

فراس السواح، الأسطورة والمعنى، دار علاء الدين، ط2، دمشق، 2001.

لطسان محيسن، عصور ما قبل التاريخ، منشورات جامعة دمشق، ط6، سوريا، 1996.

الماجدي الخزعلي، بخور الآلهة (دراسة في الطب والسحر والأسطورة والدين)، شركة الطبع والنشر اللبنانية، ط1، لبنان، 1998.

محسن عبد الصاحب المظفر، جغرافية المعتقدات والديانات، دار صفاء، عمان، 2010.

محمد أبو زهرة، مقارنة الأديان: الديانات القديمة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1965.

محمد البشير شنيتي، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني ودورها في أحداث القرن الرابع الميلادي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

محمد بيومي مهران، الحضارة المصرية القديمة، دار المعرفة الجامعية، ط4، مصر، 2008.

محمد بيومي مهران، المدن الكبرى في مصر والشرق الأدنى القديم، ج1، دار المعرفة الجماعية، مصر، 1999.

محمد صغير غانم، التوسع الفينيقي في غربي المتوسط، رسالة ديبلوم الدراسات العليا في التاريخ القديم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط2، لبنان، 1982.

محمد عباس حمودة، تاريخ الكتاب الإسلامي المخطوط، دار غريب للطباعة والتوزيع، القاهرة، 1998.

محمد عبد الحميد بسيوني، بانوراما فرعونية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1999.

محمد على الدراوي، الحياة الدينية والثقافية بمنطقة المدن الثلاث زمن الاحتلال الروماني، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الفاتح، 2003.

مسعد بري تطور الفكر الطوطمي، دراسة الجغرافية الاجتماعية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، حلب، 2010.

نائل حنون، عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد واد الرافدين قديما، ط2، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1982.

نجيب ميخائيل، مصر والشرق الأدنى القديم "مصر من فجر التاريخ إلى قيام الدولة الحديثة"، دار المعرف المصرية، ط4، 1963.

نطر محمد حسين، الحرف والصورة في عالم قرطاج، منشورات البحر الأبيض المتوسط، 1999.

نعيم فرح، موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي، دار الفكر.

هنري س عبودي، معجم الحضارات السامية، مكتبة نرجس، ط2، لبنان، 1991.

هينري س عبودي، معجم الحضارات السامية، جروس برس، ط2، طرابلس لبنان، 1991.

يوسف حوراني، مجاهل تاريخ الفينيقيين، منشورات دار الثقافة، بيروت لبنان، 1978.

يولي بركوفيتش تسيركين، الحضارة الفينيقية في إسبانيا، المطبعة العربية، ط1، بيروت، 1988.

أرلوند تويمبي، تاريخ الحضارة الهيلينية، تر: رمزي جرجوس، مكتبة الأسرة، 2003.

إريك هورونغ، الأديان المصرية القديمة، مطبعة جامعة كورنيل، أمريكا، 1999.

استيفان اقزال، تاريخ شمال إفريقيا القديم، تر: محمد التازي سعود، ج4، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 2007.

ألن شورتر، الحياة اليومية في مصر القديمة، تر: نجيب ميخائيل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1997.

اندري إيمار وجانيت بوايه، تاريخ الحضارات العام، مجلد1، تر: فريد م داغرو فؤاد ج أبو الريحان، منشورات العويدات، بيروت، 1984.

جان مازيل، تاريخ الحضارة الفينيقية الكنعانية، تر: ربا الخش، دار الحوار، ط1، سوريا، 1998.

جفري بارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، تر: إمام عبد الفتاح إمام، مر: عبد الغفار مكاوي، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1993.

جفري بارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، تر: إمام عبد الفتاح إمام، مجلس الوطني للفنون والأدب، الكويت، 1993.

جورج سارتون، تاريخ العلم، تر: محمد خلف الله، ج2، الجمعية المصرية للثقافة، القاهرة، 2010.

جورج كونتنو، الحضارة الفينيقية، تر: محمد عبد الهادي شعيرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1962.

ديودور الصقلي في مصر ق1 ق.م، تر: وهيب كامل، دار المعارف، القاهرة، 1890.

س.م. بورا، التجربة اليونانية، تر: أحمد سلامة محمد سيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1989.

سبتيينو موسكاتي، الحضارات السامية القديمة، تر: يعقوب بكر، دار الكاتب العربي، القاهرة، 1986.

السيرج سونيرون، كهان مصر القديمة، تر: زينب الكردس، مر: أحمد البدوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1975.

سيروم فلندر زيتري، الحياة الاجتماعية في مصر القديمة، تر: محمد جوهر عبد المنعم، عبد الحليم، مطابع الهيئة العامة للكتابة، مصر، 1985.

سيلفي كوقيل، قرابين الآلهة في مصر القديمة، تر: سهير لطف الله، مطبعة بي اتيشرو، 2010.

ف فون، زودن، مدخل إلى حضارات الشرق القديم، تر: فاروق اسماعيل، دار الثقافة للنشر والتوزيع، سوريا، 2003.

فرانسوا ديكريه، قرطاجة الحضارة والتاريخ، تر: يوسف شلب الشام، دار طلاس، ط1، سوريا، 1994.

فرانسوا ديكريه، قرطاجة أو إمبراطورية البحر، تر: عز دين عزوز، الأهالي للطبعة والنشر، ط1، سوريا، 1992.

فرديريك ديليتش، بابل والكتاب المقدس، تر: إيرينا داود، ط1، دار العلم، دمشق، 1987.

مادلين هورس ميادان، تاريخ قرطاج، تر: إبراهيم بالش، منشورات عويدات، ط1، بيروت، 1981.

ميرسيا إياد، تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، تر: عبد الهادي عباس، دار دمشق، ط1، دمشق، 1986.

ول. ديورانت، قصة الحضارة، تر: زكي نجيب محمود، ج1، بيروت، 1973.

ي. ف. راك، أساطير مصر القديمة، الشرق القديم دين –أساطير– ثقافة، ترجمة محمد علامي، دار الفكر ناشرون وموزعون، ط1، عمان، 2010.

ياروسلاف تشرني، الديانة المصرية القديمة، تر: د أحمد قدري، دار الشروق، ط1، القاهرة، 1996.

ج. المراجع باللغة الأجنبية:

Abou bakr, untersuchungen kronen, Hamburg: verlag augustin, 1937

Barry, J. K., "Abydos and the Royal Tombs of the First Dynasty", in: Journal of Egyptian Archaeology, 1966.

Charles-Picard, les religions de lafrique antique, ed. PLON. paris. 1954.

George Contenau, La Vie Quotidienne a Babylone et en Assyrie, Hachette, Paris, 1950

https://antikforever.com/ur(2024/06/21)

https://fr.topwar.ru/242510-pohorony-v-drevnej-mesopotamii.html (2024/06/21)

https://nar-mer.tripod.com/abydos/qaab_fr.htm(2024/06/21)

Lemara, D., Re-Examining a First Dynasty Egyptian Cemetery. A thesis submitted to the Faculty of Graduate Studies and Research in partial fulfillment of the requirements for the degree of Master of Arts, Alberta, 2012.

Mallowan, M. E. L, "The early Dynastic period in Mesopotamia in: C.A.H", vol 1, part 2, 1971.

Morris, E. F., a Sacrifice for the State: First Dynasty Royal Funerals and the Rites 19 at Macramallah's Rectangle. In Performing Death: Social Analyses of Funerary Traditions .in the Ancient Near East and Mediterranean, Chicago, 2007.

Muhlestein, Kerry and Gee, John. "An Egyptian Context for the Sacrifice of Abraham", Journal of the Book of Mormon and Other Restoration Scripture 20/2 2011 .

Pearson, M. P, the archaeology of death and burial, Texas, 1999.

S Warmington،(B.H), Histoire et Civilisation de Carthage, 814-146 AV.J. C,trad, Guillemin, (S M), payot, Paris, 1961.

Van Djik, Jacobus. "retainer sacrifice in egypt and in nubia", The Strange World of Human Sacrifice, Studies in the History and Anthropology of Religion, Vol. 1 (Leuven, Peeters, 2007 .

د. المجلات:

عبد اللطيف ركيك، مقاربة لإشكالية أصول شعيرة تقديم القرابين البشرية عند القرطاجين، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، مجلد 2، العدد1، 2019.

عبد الوهاب كيدار، بوبكر مريقي، قدسية الجبل ومكانته في الأديان الوضعية، مجلـــة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، جامعة بشار، الجزائر، المجلد08، العدد01، 2022.

هـ. مواقع الإنترنت:

www.antikforever.com
www.fr.topwar.ru
www.nar-mer.tripod.com
www.pinterest.com

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

شكر وإهداء.....01

مقدمة 03

الفصل التمهيدي: الأضاحي في الحضارات القديمة

I. المعتقد والممارسات الطقسية في عبادة الآلهة.....08

1.المعتقد الديني 08

2. الطقس 10

II. أنواع القرابين 12

1.قربان البخور والتزين.....14

أ. قربان البخور 14

ب. قرابين التزين 15

2. القرابين الحيوانية 16

3. القرابين السائلة 21

أ. الماء.....21

ب. اللبن 21

ج. الجعة.....21

د. النبيذ 22

ه. الزيت 22

و. العسل.....22

4. القرابين النباتية 23

أ. الخبز 23

ب. الخضر والفواكه والحبوب.....24

5. القرابين البشرية.....24

III. ماهية القرابين ومسيرة تداول الظاهرة بين شعوب العالم القديم 27

الفصل الأول: إرضاء الآلهة وظهور القرابين البشرية في الحضارة الفينيقية

I. المعتقد الفينيقي.....30
1. تعريف المعتقد.....30
2. أهم المعبودات الفينيقية.....32
أ. الإله بعل آمون.....32
ب. الإله ملقارت.....33
ج. الإله أشمون.....35
د. الإله شادرافا.....36
هـ. الإله تانيت.....36
و. الإله عشتار.....38
II. ظهور الأضاحي البشرية في الممارسات الدينية الفينيقية.....40
III. انتقال ثقافة تقديم القرابين البشرية عبر المستوطنات الفينيقية (قرطاجة).....42

الفصل الثاني: الأضاحي البشرية في مصر وبلاد الرافدين

I. بروز ظاهرة الأضاحي البشرية في مع عصر الدولة القديمة.....49
II. القرابين والأضاحي الآدمية في بلاد الرافدين.....56
III. سيرورة الطقس الديني في حضارتي مصر القديمة وبلاد الرافدين.....59
1. سير الطقس الديني في مصر القديمة.....59
2. سير الطقس الديني في بلاد الرافدين.....61
خاتمة.....65
قائمة المصادر والمراجع.....69
فهرس الموضوعات.....77

الملخص:

تناولنا في مذكرتنا هذه التعريف بالقرابين البشرية وإبراز مظاهرها عبر مختلف الحضارات القديمة ومن بين هذه الحضارات الفينيقية والمصرية وبلاد الرافدين، إذ تنوعت قرابينهم من نباتية وحيوانية وبشرية، كما كان لتقديس الآلهة شأن كبير بالنسبة لهم فأعطى هذا التعدد في الآلهة والتسمية كما كان في الحضارة الفينيقية والتي كان سكانها يقدمون أبنائهم البكر الذكور إرضاء لآلهتهم وتجنبا لغضبها، ووجدنا أن المصريين كانوا أشد الناس تدينا حيث ظهر عندهم تقديم القرابين البشرية منذ القدم قبل عهد الأسرات واهتموا كثيرا بالطقوس الجنائزية لاعتقادهم الحياة بعد الموت، أما في بلاد الرافدين فقد ظهرت القرابين عندهم في العصور الأولى وكانت حيوانية وفي النادر بشرية وانقرضت عندهم خلال الألف الثالثة قبل الميلاد وحلت محلها ذبح الخراف.

الكلمات المفتاحية: الدين، المعتقد، القربان، الطقس، التضحية، الآلهة.

Abstract :

In this paper, we discussed the definition of human sacrifices and highlighted their manifestations across various ancient civilizations, including the Phoenician, Egyptian, and Mesopotamian civilizations. These civilizations varied in their sacrifices, ranging from plant, animal, to human offerings. The reverence for deities was of great importance to them, leading to a diversity in gods and rituals. For instance, in Phoenician culture, offering firstborn male children was a means of appeasing and avoiding divine wrath. Egyptians were notably devout, practicing human sacrifice since ancient times even before the dynastic periods, and they placed significant emphasis on funerary rituals due to their belief in afterlife. Meanwhile, in Mesopotamia, sacrifices appeared early on, primarily animal with occasional human sacrifices, but these ceased around the third millennium BCE, replaced by rituals involving sheep slaughter.

Keywords: religion, belief, sacrifice, ritual, sacrifice, gods.